
والله إن النصر فوق رؤوسنا
ينتظر كلمة كن فيكون
فلا تشغلوا أنفسكم بموعد النصر
انشغلوا بموقعكم .. بين الحق والباطل
الحرب الهجينة
المقاربة غير المباشرة المتكيفة لتغيير النظام
تأليف
آندرو كوروبكو
ترجمة
مركز نورس للدراسات
Nors For Studies

الحربُ الهجينة

المقاربة الغير مباشرة والمتكيّفة مع تغيير النظام

أندرو كوروبكو

تقديم معهد الدراسات الاستراتيجية والتقديرات (RPFU) – 2015

ترجمة مركز نورس للدراسات – 2019


mohamed khatab
نــــورس للــتــرجــمــة

اهداء

إلى أبطالنا على جبهات الحرية في بلاد الإسلام

إلى أسرانا في زنازين الطغاة المتسلطين على رقاب المستضعفين

إلى كل مؤمن بأن الحريّة حقٌ يُنتزع ولا يوهب

نهدي لكم هذا العمل المتواضع

ليكون لكم عونا في طريق الحرية تنطلقون منه إلى إعادة مجدكم المسلوب الذي أغنى العالم وأثرى فهمه

مقدّمة المركز

تمهيد:

منذ العصر البدائي وحتى اليوم، لازالت مفاهيم الحرب في تطور مستمر، ولا زالت قواعد الحروب وآدابها تلقى مزيدا من العناية والاهتمام كلما تغيرت ظروفها المُشكّلة لها والمحيطة بها، وقد أصبحت اليوم الحرب الهجينة أحد هذه النماذج المتطورة التي تحظى باهتمام واسعٍ بين المختصين.

للحرب الهجينة –كما سيمر معنا في البحث– قراءات مختلفة متنوعة أبرزها قراءات بين العقلية الغربية والعقلية الشرقية، أما الغربية فقد تناولنا بعضاً منها في البحثين السابقين، فهي بنظرهم تعتمد على توفر مجموعة من العوامل والأدوات العسكرية والاجتماعية، كما لا يقوم بتطبيقها إلا الخصوم الغير حكوميين أو الفاقدون لقدرات الدولة.

الجدير بالذكر أن العقلية الشرقية ممثلة بروسيا تنظر لمفهوم الحرب الهجينة من زاوية مغايرة تماما، حيث تعتمد في تفسير هذا النمط من الحروب على الأبعاد الجيوسياسية بشكل أساسي، ثم الأبعاد السياسية والاجتماعية والسيبرانية، وفي النهاية الأبعاد العسكرية والأمنيّة، إضافة لإمكانية تطبيق هذا المفهوم من قبل الجماعات الغير حكومية أو حتى من قبل الدول والحكومات الرسمية، بل قد يكون الطرفان في بعض الأحيان مكملان لمفهوم الحرب الهجينة، بحيث تبدؤوها الأطراف الحكومية من خلال أدواتها الناعمة المَخفِيّة حتى مرحلة معيّنة، ثم تظهر الأطراف الغير حكومية في عمل ظاهر ومباشر وقويّ.

والهدف النهائي للحرب الهجينة –عند العقليتّن الشرقية والغربية– هو "إجبار العدو على التحرك الدبلوماسي باتجاه خصمه الهجين للوصول لاتفاق سياسيّ يرتضيه الطرف المهاجم"، بحيث يكون دافع هذا التحرك هو الخروج من حلقة الاستنزاف والهروب من حالة التشظي التي يقع فيها العدو نتيجة هجمات خصمه الهجين...

ولما تحظى به الحرب الهجينة اليوم من أهمية بالغة ودور فعّال في مختلف أشكال الصراع الحديث بين القوى الغير متكافئة، فقد أخذ مركز نورس للترجمة على عاتقه أن يقوم بتعريب وترجمة ما تحتاجه المكتبة العسكرية العربية من الأبحاث والكتب الغربية التي تتعلق بهذا النوع من الحروب.

ويعدّ هذا البحث الرابع من نوعه الذي يقوم مركزنا بتعريبه، وذلك بعد تقديمنا للترجمات التالية حول نفس الموضوع:

١) بحث "الحرب الهجينة | التأثيرات المترتبة على تطوير القوات الكندية"
http://norsforstudies.org/2018/11/8368/

٢) بحث "طالبان وحزب إيران اللبناني | الخصوم الهجينون في الصراعات المعاصرة."
http://norsforstudies.org/2019/01/8875/

٣) بحث "الحملة المتعددة الجنسيات لمواجهة مشروع الحرب الهجينة"
http://norsforstudies.org/2019/04/9443/

كلمة شكر:

نتوجه في المركز بالشكر الجزيل لكل الأصدقاء الأفاضل الذين ساهموا في هذا البحث بالترجمة والتدقيق والإخراج والتصميم وهم: أحمد علي ويوسف المهدي ووائل معمار وخالد ذكرى.

توضيح:

لقد قمنا في مركز نورس للدراسات بعدد من الإضافات على هذا البحث لم تكن موجودة فيه وأهمها:

إضافة الخرائط والصور التوضيحية.

إعادة نحت المصطلحات الموجودة بما يتناسب مع سياق اللغة العربية وروح النص.

إدراج هوامش في كامل البحث بهدف التوضيح والتوسع فيما يحتاجه البحث من شرح وتوضيح عند القارئ.

ملاحظة:

اعتمد الكاتب في هذا البحث على تجاهل ذكر الدور الروسي في مفهوم الحرب الهجينة محاولاً عن قصد جعل الحرب الهجينة تهمة موجهة للولايات المتحدة الأمريكية ومظهراً روسيا على أنها في حالة دفاع عن مصالحها ضد عدو يخوض هذا النموذج من الحروب ضدها، كما يوجه أصابع الاتهام بالعمالة والتبعيّة لكل ثورة تخوضها طبقات المجتمعات المقهورة ضد أنظمتها المستبدّة.

لكن الوقائع اليوم تثبت بالدليل القاطع عمل روسيا على تطبيق هذا النموذج من الحروب في سوريا وأوكرانيا بشكل واضح وجليّ.

مقدّمة المؤلف

"التفوق الأكبر يتمثل في كسر مقاومة العدو دون قتال"

المفكر العسكري الصيني صون تزو

أولا: أهمية الموضوع

قبل أكثر من ألفي سنة، أدرك الاستراتيجي العسكري الصيني العريق سن تزو أن الحرب الغير مباشرة هي واحدةٌ من أكثر الطرق فعاليةً في محاربة العدو، لأنها تسمح للخصم أن يهزم خصمه دون الاشتباك معه مباشرةً، وبذلك يوفر على نفسه الموارد التي كانت ستُنفَق في مواجهةٍ مباشرة.

إن مهاجمة العدو بطريقةٍ غير مباشرة يمكن أن يغرقه في مستنقع (من ردود الأفعال) ويضعه في موقفٍ دفاعي، مما سيجعله عرضةً للعمليات الهجومية بعد ذلك (عمليات هجومية غير مباشرة أيضا سواء كانت سياسية أو أمنية أو اقتصادية). كما أنها تحمَّل الجانب المدافع تكلفة الفرصة البديلة، حيث أن الأوقات والموارد التي يُجبر المدافع على إنفاقها في التعامل مع الهجوم غير المباشر، كان من المُفترَض منه أن يستخدمها بشكل أفضل في مكانٍ آخر.[١]

بالإضافة إلى المزايا التكتيكية التي تحظى بها طريقة الهجوم غير المباشر، هناك مزايا استراتيجيةٌ أيضاً. فقد تكون هناك قيودٌ معينةٌ تمنع كياناً ما من شنَّ أعمالٍ قتاليةٍ مباشرةٍ ضد كيانٍ آخر (مثل التحالفات، والتوازنات العسكرية، وما إلى ذلك).

[١] تكلفة الفرصة البديلة: هي قيمة التكلفة المتوقّعة التي سيتم خسارتها في حال أجبرنا على ترك المشروع القائم والانتقال إلى بديلٍ آخر، وهي نتيجة العملية الحسابية التالية: العائد الذي سيحقّقه الخيار الثاني – (كلفة البديل الجديد الذي تمّ اختياره + المنفعة التي تمّت خسارتها من البديل الأول)، وفي مثالنا هنا كان البديل الأول للطرف المدافع هو القيام بالهجوم، وقد خسر هذا الخيار، وخسر معه أيضا المنفعة التي كان من المتوقع أن تنتج منه، وذلك بسبب اضطراره على اتخاذ الوضع الدفاعي بعد تعرضه لهجومٍ غير مباشر.

وفي هذه الحالة الحرب الغير مباشرة هي الخيار الوحيد لزعزعة استقرار الطرف الآخر.

في الوقت المعاصر، تفرض أسلحةُ الدمار الشامل والعالمُ متعدد الأقطاب الصاعد قيوداً على المواجهة المباشرة بين الدول العظمى، فعلى الرغم من أن الولايات المتحدة لا تزال تحتفظ بأقوى جيشٍ نظاميٍ في العالم، فإن التكافؤ (التوازن) النووي الذي تشترك فيه مع روسيا هو بمثابة تذكيرٍ بأن القطبيّة الأحاديّة ليست مطلقة. بالإضافة إلى ذلك فإن النظام الدولي يتشكل بطريقة تجعل التكاليف السياسية والمادية لشن حربٍ تقليدية ضد دولٍ معينة (مثل الصين وإيران) أكثر عبئاً على صانعي القرار الأمريكي، مما يجعل الخيار العسكري أقل قبولاً. في ظل هذه الظروف تكتسب الحرب بالطرق الغير مباشرة قيمةً متزايدة في التخطيط الاستراتيجي، ويمكن أن يتخذ تطبيقها أشكالًا متنوعة.

في الماضي، قد تكون الطائرات القاذفة والدبابات ميزة الحرب المباشرة، لكن إذا كان النمط الذي طبقته الولايات المتحدة حالياً في سوريا وأوكرانيا له أيّ دلالة، فإن المتظاهرين والمتمردين سيصبحون في المستقبل الميزة الأهم للحرب الغير مباشرة.

بمرور الوقت، سيتم تشكيل الطابور الخامس اعتمادا بشكلٍ أقل على العملاء السريّين والمخربين السريّن وبشكل أساسي على الجهات الفاعلة غير الحكومية[٢] التي تتصرف علناً على أنها مدنية. وستحل وسائل التواصل الاجتماعي والتقنيات المشابهة محلّ الذخائر الموجهة بدقة كقدرةٍ يستخدمها الطرف المهاجم على توجيه الضربات الدقيقة والفتاكة، وستصبح غرف الدردشة وصفحات الفيس بوك "أوكاراً جديدةً للمسلحين". وبدلاً من مواجهة الأهداف على أرضهم مباشرة، ستُشنّ صراعات بالوكالة في المناطق القريبة منها من أجل زعزعة استقرار محيطها. كما قد تحل

[٢] الجهات الفاعلة غير الحكومية Non state actors: هي أفراد وجماعات تمتلك النفوذ والتأثير، والتي تستقل بشكل كامل أو جزئي عن الحكومات. وعادةً ما يُقصَد بها التنظيمات المسلحة، سواء الدولية منها أو المحلية. إلا أنها قد تشمل أيضا منظمات المجتمع المدني سواء المحلية أو الدولية، وفي هذا الكتاب يقصد بالجهات غير الحكومية على الأغلب الصنف الأول (المسلح).

الانقلابات وعمليات تغيير النظام الغير مباشرة محل الاحتلال التقليدي، لكونها أكثر فعاليةً من حيث التكلفة، وأقل حساسيةً من الناحية السياسية.

ثانيا: النظرية

يركز الكتاب على الاستراتيجية الجديدة للحرب الغير مباشرة التي أظهرتها الولايات المتحدة أثناء الأزمتين السورية والأوكرانية. كلتا الحالتين تركت العديد يتساءلون عما إذا كان بالإمكان تصدير الثورات الملونة إلى بقية مناطق الشرق الأوسط، أو وصول الربيع العربي إلى أوروبا، أو ربما نوعٌ من الحرب الهجينة. فمن المؤكد أنه عندما تتم مقارنة إجراءات أمريكا في كلا البلدين بموضوعية، يمكن للمرء أن يكتشف نهجاً جديداً يهدف إلى تغيير النظام. يبدأ هذا النهج بنشر "ثورةٍ ملونة"[٣] على أنها محاولةٌ انقلابية ناعمة، ليتبعها مباشرةً انقلابٌ عنيف، متمثلٌ بحربٍ غير تقليدية بعد فشل الخطة الأولى.

سنعرّف الحرب الغير تقليدية في هذا الكتاب على أنها: "كل نوع من القوات الغير تقليدية (أي: قوة عسكرية غير رسمية) تشارك إلى حدٍ كبير في القتال غير المتكافئ ضد خصمٍ عسكري تقليدي".

---

[٣] الثورة الملونة color revolution: مصطلح يطلق على أعمال الحركات التمردية والعصيان المدني وأعمال الشغب في بعض الدول وخاصة المناوئة منها للغرب كالدول الشيوعية السابقة في وسط وشرق أوروبا ووسط آسيا، وبعض دول الشرق الأوسط في بداية القرن الحادي والعشرين.

استخدم المشاركون في هذه الثورات المقاومة السلمية والاحتجاجات والمظاهرات مع استخدام وشاح ذو لون محدد أو زهرة كرمز. ومنها ثورة الورد أو ثورة الزهور أو الثورة الوردية في جورجيا والثورة البرتقالية أو ثورة البرتقال في أوكرانيا وثورة التوليب أو ثورة السوسن أو ثورة الزنبق أو ثورة الأقحوان أو الثورة الزهرية في قيرغيزيا وثورة الأرز في لبنان. وقد أطلق البعض اسم الثورة الزرقاء على المطالبة عام ٢٠٠٥ بمشاركة المرأة في الحياة السياسية في الكويت، وأطلق اسم ثورة الزعفران على تحرك المعارضة في بورما أو ميانمار عام ٢٠٠٧. وأطلق على أعمال الشعب في التبت عام ٢٠٠٨ اسم الثورة القرمزية.

في مقاربة[٤] ثنائية إذا مُزجتا، تمثل الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية المكونين اللذين يشكلان نظرية الحرب الهجينة، وهي الأسلوب الجديد للحرب الغير مباشرة التي تشنها الولايات المتحدة.

ثالثا: الموقف الروسي الرسمي من الموضوع

ركز مؤتمر موسكو حول الأمن الدولي في مايو ٢٠١٤ بشكل كبير على دور الثورات الملونة في دعم وتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في جميع أنحاء العالم. وفيها صرّح وزير الدفاع سيرغي شويغو بأن "الثورات الملونة تأخذ شكل الحروب بشكل متزايدٍ ويتم تطويرها وفقاً لقواعد الحرب". كان ممن حضر المؤتمرَ مركزُ الدراسات الاستراتيجية والدولية الأمريكي ممثلاً بأنتوني كوردسمان[٥]، وقام بعدها بنشر صور شرائح (PowerPoint) التي تم تقديمها في المؤتمر، وقد أضاف إليها التعليقات المهمة لكل متحدث حضر الاجتماع. وبالأخص تعليقات فاليري جيراسيموف، رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية الذي كان قد قدم عرضاً مرئياً هاماً، شرح خلاله مفهوم "المقاربة المتكيّفة" للقوة العسكرية. ويعني بها الوسائل الغير عسكرية –التي تم تحديدها على أنها الثورات الملونة– التي يساندها الاستخدام السريّ [المخفي] للقوة، ومن ثم وبعد إيجاد الذريعة، يُستخدم التدخل العسكري المفتوح ضد الدولة المعارضة.

---

[٤] المقاربة: وتعني النهج أو الأسلوب الذي يتبعه الطرف المهاجم في تقدمه نحو عدوّه، وللمقاربة نوعان مقاربة مباشرة وهي الأسلوب المباشر الجبهوي العسكري الذي لا يضطر المهاجم فيه للبحث عن نقاط ضعف أو خواصر رخوة، والمقاربة الغير مباشرة والتي تعتبر الحرب الهجينة إحدى نماذجها وهي الأسلوب الغير مباشر في الهجوم على العدو مستغلين لنقاط ضعفه ومدركين لنقاط الضغط عليه ومنطلقين لقلبه من خواصره الرخوة ويعتبر أول من أصل لهذا النوع من المقاربات كتطبيق هو الصيني سون تزو وأول من أصل لها علمياً هو البريطاني ليدل هارت.

[٥] من الجدير بالملاحظة أن مركز الدراسات هذا هو مركز أبحاث أمريكي شهير، مقره العاصمة واشنطن في الولايات المتحدة، وتموله الحكومة الأمريكية، وأنتوني كوردسمان (الأمريكي) يشغل رئيس فرع دراسات Arleigh A. Burke للاستراتيجية في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، وقد ذُكِر في كتاب الذي ترجمناه بعنوان: حزب إيران اللبناني وطالبان -الخصوم الهجينون في النزاعات المعاصرة.

رابعا: أوجه القصور في الموقف الروسي

يجب دراسة المقاربة المتكيّفة التي قدمها غيراسيموف لأول مرة، وهذا هو أحد أهداف الكتاب. ولأنه جديدٌ للغاية، فإن مفهوم غيراسيموف لم يتم التوسع فيه بشكلٍ كامل وينبغي تنقيحه. على سبيل المثال، يجب الأخذ بالحسبان غياب التدخل العسكري المباشر لحلف الناتو في سوريا وأوكرانيا على غرار السيناريو الليبي الذي واقع بدافع حماية حقوق الإنسان ولكن حقيقته كانت تهدف إلى إسقاط النظام، أو على غرار التدخل الروسي في سوريا لحماية النظام.

لذلك، وفي ظل البيئة الدولية المعقدة اليوم سنقوم بتقديم التفسيرِ النظريِ التالي: كلّما اقتربت عمليات زعزعة الاستقرار الأمريكية من المراكز المستهدفة (روسيا، إيران، الصين)، انخفضت احتمالية الحرب المباشرة، وزادت احتمالية تطبيق الوسائل الغير مباشرة (الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية). وبالطبع يمكن عكس النظرية، فحينما تبتعد عمليات زعزعة الاستقرار عن نفس المراكز كلما زادت احتمال الحرب المباشرة.

نظراً لأن ليبيا تقع أبعد ما يكون عن حدود روسيا وإيران، فقد تم تطبيق أساليب مباشرة في تغيير النظام في نهاية الأمر، إلا أنه نظراً لكون أوكرانيا وسوريا أقرب إلى المراكز [النوى] المستهدفة، فقد تم التحول في الخطة الأساسية للأساليب الغير مباشرة في تغيير النظام عبر الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية في العالم متعدد الأقطاب.

بما أنه من الصعب للغاية بالنسبة للولايات المتحدة تكرار حربٍ على غرار النموذج الليبي على مقربة من حدود دول المراكز [النوى] بسبب الوضع الدولي (هذا الأمر ينطبق على أوكرانيا أكثر مما ينطبق على سوريا، حيث أن روسيا كمركز أقوى بكثير من إيران، التي عانت نوعاً ما من الضعف في العام الماضي)، فمن المتوقع بأن يصبح النموذجان السوري والأوكراني معياراً في المستقبل. على الرغم من أن السيناريو الليبي قد يكون الهدف النهائي للمخطّطين العسكريين الأميركيين، إلا أنه

سينظر إليه على أنه حالةٌ شاذة أكثر من كونه قاعدة مع تقدم الولايات المتحدة في منطقة أوراسيا.

بالإضافة إلى ذلك،[٦] لم يتم وضع المقاربة المتكيفة – كما تم وصفها – في مؤتمر موسكو حول الأمن الدولي عام ٢٠١٤ في السياق الجيوسياسي، كما أنه لم يتم تقديم تفسيرٍ مُتعمّقٍ للثورة الملونة أو الحروب الغير تقليدية، ولا يوجد أيّ ذكرٍ لكيفية ربط هذين المفهومين ببعضهما البعض، وذلك لأن فكرة المقاربة المتكيفة جديدةٌ للغاية ولم يتم صياغتها إلا في مايو ٢٠١٤ ولأول مرة. وبناءً عليه فالمجال مفتوح لبحوثٍ جديدةٍ في هذه الموضوعات، بحيث تساعد هذه البحوث على ربطهما معاً في نظريةٍ موحّدة. وبما أنه تم تحديد المقاربة المتكيفة – التي تم الكشْف عنها حديثاً ولم تتم دراستها بشكلٍ كافٍ – على أنها تهديدٌ جديدٌ للأمن العالمي، فإن الكتاب يأخذ طابعاً أكثر إلحاحاً ويأتي في الوقت المناسب أكثر من أي وقت مضى.

خامسا: موضوع الكتاب ومادة بحثه ومنظوره وهدفه

موضوع البحث هو الاستراتيجية الكبرى (Grand strategy) للولايات المتحدة، ومادة البحث حول القالب الجاهزة للأسلوب الجديد في تغيير النظام. ويتقيد الكتاب بتحليل شِقيّْ المقاربة المتكيفة المتمثلة بالثورة الملونة والحروب الغير تقليدية فقط، معتبراً إياهما نظريةً جديدةً للحرب في حد ذاتها. يمكن دمج هذين الاثنين بعيداً عن الخطوة الثالثة المتمثلة بالتدخل العسكري، ومن الممكن القول بأن هذا الهجين أفضل من توسيع عملية زعزعة الاستقرار إل عملية حماية مباشرة أو تدخل تحت الذريعة الإنسانية.

يمكن اعتبار الأحداث في سوريا وأوكرانيا كدراسة حالة لاختبار هذه النظرية الجديدة، وسنعتبر أن القارئ لديه مستوى معين من المعرفة المسبقة حول هاتين

---

[٦] يعود المؤلف إلى أول فقرة في هذا القسم ليضيف ملاحظاته على عرض "المقاربة المتكيفة" التي تم تقديمها في مؤتمر موسكو

الحالتين. ويهدف الكتاب إلى شرح وتحليل القالب المتطور الأمريكي لتغيير النظام وطريقة الحرب التي تم وصفها لأول مرة في مؤتمر موسكو حول الأمن الدولي ٢٠١٤، بالإضافة إلى إظهار أن الجمع بين ثورة الألوان والحروب الغير تقليدية يمثل نظريّةً جديدةً لزعزعة استقرار الدول، جاهزةً للنشر الاستراتيجي في جميع أنحاء العالم.

سادسا: المنهجية

سيتخذ الكتاب منهجيةً محددةً من أجل تفسير نتائجه بوضوح، مع استخدام أمثلة من سوريا وأوكرانيا لدعم مزاعم النظرية الجديدة. يتناول الفصل الأول السياقات النظرية التي يقوم عليها المفهوم الجديد. وسننظر أولاً في تطور النظريات الجيوسياسية التي تضع سياسة الولايات المتحدة الخارجية المناهضة لروسيا في المنظور الصحيح. عندها سندرس النظريات العسكرية التي تفسر تفضيل الأسلوب الخفي وغير المباشر لزعزعة استقرار روسيا. سنتحدث في نهاية الفصل باختصار عن مفهوم "الهيمنة التامة" (Full Spectrum Dominance) وكيف تنسجم الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية مع هذا النموذج الفكري (Paradigm).

يركز الفصل الثاني على كيفية تطبيق الثورات الملونة، حيث سيبدأ بتحليل النظرية والاستراتيجية التي تقف وراءها، مع التركيز الشديد على حرب الشبكات وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي. ثم سيشرح الفصل بأن النتيجة النهائية لهذه الجهود هي صناعة "أسراب الاجتياح" المشكلة من المدنيين الفاعلين المناهضين للحكومة، والتي بدورها ستتبع التعليمات التكتيكية التي ينادي بها جين شارب (Gene Sharp). أخيراً، سوف يُختتم الفصل بتعليقٍ موجزٍ عن شخصين رئيسيين يمتلكان خبرةً في ممارسة هذه الأساليب.

يتّبع الفصل الثالث نفس هيكلية الفصل الثاني، لكن بدل الحديث عن "الثورات الملونة"، يتحدث عن "الحروب الغير تقليدية". فيبدأ بعرض تعريفٍ عسكري أمريكي

رسمي للحروب الغير تقليدية قبل تعديله بما يناسب سياق الكتاب. ثم ينظر في تاريخ عمليات الحروب الغير تقليدية لأمريكا وصعود الأطراف الفاعلة غير الحكومية في عالم ما بعد الحرب الباردة. بعد ذلك سيشرح كيف أن الحروب الغير تقليدية تتبع نفس النموذج الفكري الاستراتيجي (strategic Paradigm) للثورات الملونة. وأخيراً سيتم تحليل المنهاج التدريبي (TC 18-01) الحربي المسرَّب للجيش الأمريكي جزئياً لإظهار تطبيقاته ذات الصلة بالكتاب، وبالتالي ننهي الفصل.

يربط الفصل الرابع بين مفاهيم الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية، ويظهر كيف أنها أجزاء تكمل بعضها البعض في عملية تغيير النظام بأكمله. هذا الفصل الهام يجمع بين النتائج السابقة معاً من أجل بناء نظرية جديدة من "الحروب الهجينة". وفي هذه المرحلة يجب أن يكون المرء قادراً على رؤية تميز هذا المفهوم بوضوح، وكيف يتدفق كل جزء من منهما إلى الآخر بسلاسة ليصنع النظرية المتكاملة.

الفصل الأخير هو الاستنتاجات، إلا أنه يقدم توقعات محدودة وتوصيات عامة حول الحرب الهجينة. يلخص القسم الأخير ما جاء في كل الكتاب بإيجاز، ثم ينتهي بذكر بعض الأفكار المُستخلصة. وعند الانتهاء من الكتاب نكون قد حققنا الهدف بتطوير فهم القارئ للحرب الهجينة، بحيث يمكنه استخدام هذا الفهم كأساس لمزيد من البحث في هذا الموضوع الثوري.

الباب الأوّل: السّياقات النظريّة

الفصل الأول: السياق الجيوسياسي

إن السياسة الخارجية الأمريكية المعاصرة تجاه روسيا هي نتيجة لتراكم النظريات الجيوسياسية. فكَون روسيا تقع في النصف الثاني المقابل من الكرة الأرضية لأمريكا وتقع في منتصف الطريق حول العالم، يجعل من الطبيعي ظهور معالم الجغرافيا السياسية بشكل بارزٍ في تشكيل سياسة كل دولةٍ تجاه الأخرى. كلا البلدين قوتان كبيرتان قادرتان على إبراز النفوذ والقوة خارج حدودهما، وفي الوقت الحاضر إمكانيات الولايات المتحدة أكثر قدرة على هذا الإبراز بالمقارنة مع روسيا.

في الواقع، سيُقال بأن الولايات المتحدة طوّرت مقاربة على نطاق أوراسيا[٧] للتعامل مع روسيا والقوى الإقليمية الأخرى، وهذه الاستراتيجية هي في جوهرها من الحروب الهجينة. مع ذلك فمن أجل الوصول إلى هذه النقطة، يجب أولاً أن نستهل بلمحةٍ عامة عن الركائز الجيوسياسية التي أدت إلى تطور هذه المقاربة الأمريكية. فبدون فهم المبادئ النظرية التي أدت إلى سياسة اليوم، لا يمكن فهم أهمية النظرية الجديدة ومكانتها المحورية في التخطيط الاستراتيجي الأمريكي على نحو ملائم.

أولا: ماهان وماكيندر

يمكن النظر إلى ألفريد ثاير ماهان باعتباره مؤسس التفكير الجيوسياسي الذي قاد إلى السياسة الأمريكية الحالية وأثّر عليها. فهو من نشر كتاب "تأثير القوة البحرية على التاريخ" عام ١٨٩٠، وينسب إليه الفضل في تسليط الضوء على أهمية

---

[٧] يُقصَد بأوراسيا قارتي آسيا وأوروبا معاً، وقد اعتمدت روسيا خلال السنوات الأخيرة عقيدةً سياسية تعتمد على العلم الجيوسياسي كركيزة محورية تسمى العقيدة الأوراسية.

الاستراتيجية البحرية في إبراز النفوذ العالمي. وقد كان المفهوم الجوهري لكتابه هو أن السيطرة الاستراتيجية على مناطق معينة من البحر يمكن أن تقود إلى تحقيق السيطرة والنفوذ في مكان آخر من العالم. وهذا ما ساعد القوى البحرية بعد ذلك في صياغة استراتيجيتها العالمية.[٨]

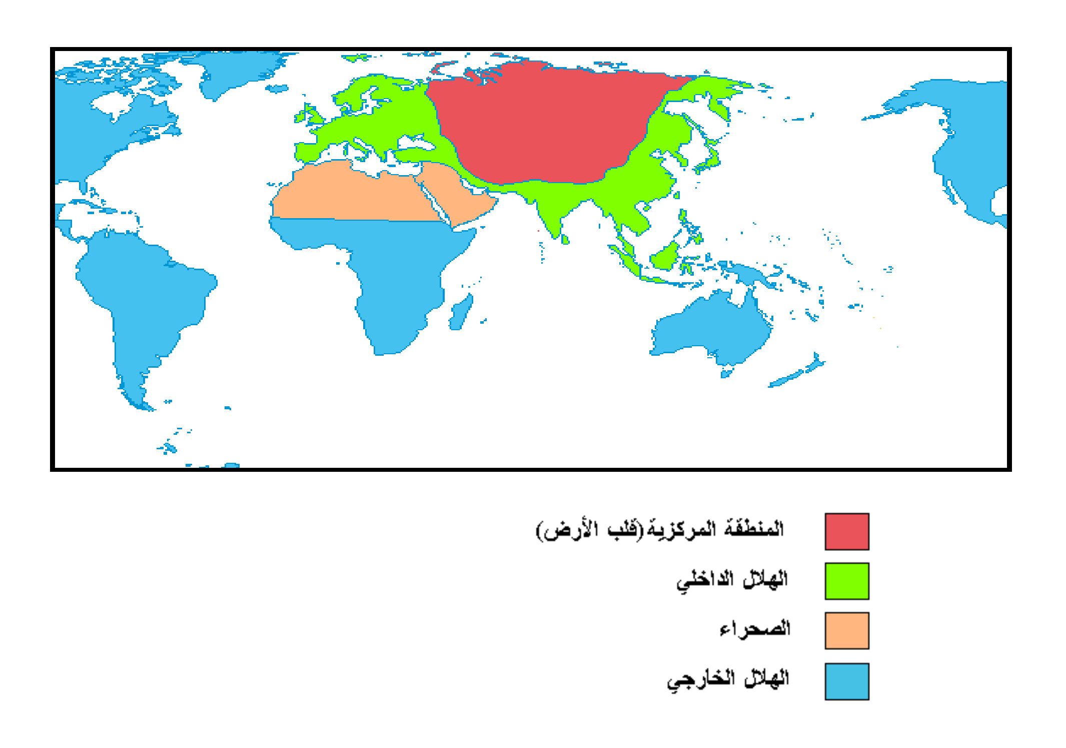
لكن عام ١٩٠٤، كتب هالفورد ماكيندر مقال "المحور الجغرافي للتاريخ"، كرد جزئيّ على أطروحة ماهان. وبدلاً من التركيز على القوى البحرية ركز ماكيندر على تأثير القوى البرية، مؤكداً أن السيطرة على قلب العالم (التي حددها كجزء من روسيا وآسيا الوسطى) هو شرط مسبق ضروري للسيطرة على "جزيرة العالم" الأوراسية. على الرغم من أن "الهلال الداخلي"[٩] ليس جزءاً بارزاً من نظريته، فقد ميزه باعتباره جزءاً من جزيرة العالم المتاخمة للساحل. وحدد ماكيندر أوروبا الشرقية بالذات كبوابة إلى قلب العالم، ثم كتب في عام ١٩١٩: "من يحكم أوروبا الشرقية يسيطر على قلب الأرض. ومن يحكم قلب الأرض يسيطر على جزيرة العالم. ومن يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم ".[١٠]

[٨] ألفريد ثاير ماهان (Alfred Thayer Mahan) وُلد في ٢٧ سبتمبر ١٨٤٠م، وتوفي في الأول من ديسمبر ١٩١٤م. وقد كان ضابط عَلَم في البحرية الأمريكية، كما كان مفكرا جيوستراتيجيا ومؤرخًا أيضا، وقد أُطلق عليه لقب "الاستراتيجي الأمريكي الأكثر أهمية في القرن التاسع عشر الميلادي". وكان مفهومه عن "قوى البحرية" مبنيًا على فكرة أن الدول صاحبة القوة البحرية الأعظم سيكون لها التأثير الأكبر في جميع أنحاء العالم؛ ومن المعروف أن هذا المفهوم قُدِمَ من خلال كتاب تاريخي وهو تأثير القوة البحرية على التاريخ، .(The Influence of Sea Power Upon History 1890)

وقد كان لهذا المفهوم انعكاسه الهائل في صياغة الفكر الإستراتيجي للقوى البحرية في العالم، وخاصة في الولايات المتحدة وألمانيا واليابان وكذلك بريطانيا؛ ممَّا أدى في نهاية الأمر إلى تنافس الدول الأوروبية على الأسلحة البحرية، وذلك في العقد التاسع من القرن التاسع عشر ميلادي، وما تزال أفكاره حتى اليوم مسيطرة على مبادئ البحرية الأمريكية.

[٩] تعرف باسم دول الطوق أو الهلال الداخلي Inter crescent، يتكون هذا الهلال من المناطق الساحلية الأوروبية الجنوبية وغرب جبال الأورال، وشبه الجزيرة العربية والصحراء العربية الكبرى، والهند وجنوب شرق آسيا، ويتميز هذا الهلال بأنهاره الصالحة للملاحة، كما يقع خلفه مباشرة قلب العالم، وينفصل عنه بمجموعة من العوائق الطبيعية.

١٠ هالفورد ماكيندر (Halford Mackinder): كان السير هالفورد ماكيندر (١٨٦١-١٩٤٧) جغرافيا بريطانيا متخصصا في الجغرافيا السياسية، ألف عام ١٩٠٤ كتابه الشهير المحور الجغرافي للتاريخ كرد على كتاب الأمريكي ألفرد ماهان، وهو أحد أشهر كتب الجيوبوليتيك في العالم، وهالفورد هو أول من وضع نظرية قلب العالم.

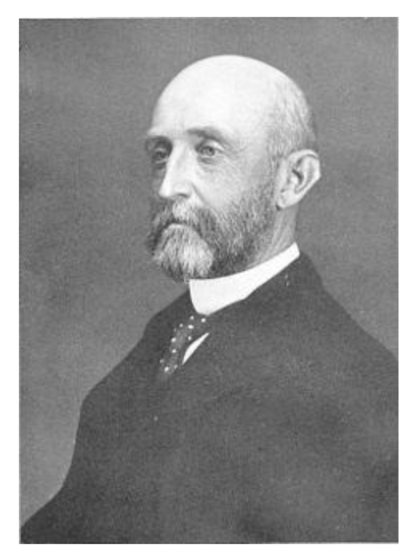


خريطة العالم حسب نظرية هالفورد ماكيندر

المهم هنا هو أن كلا الجغرافييّن الاستراتيجييّن قد اقترح وجهات نظرٍ متضاربة حول كيفية ممارسة القوة في جميع أنحاء العالم، لكن ما يعنينا في سياق هذا الكتاب أن أهمية ماهان الأساسية تكمن في تأثيره على ماكيندر، الذي استفاد بدوره من بعض مفاهيم القوة البحرية في اقتراح نظرية جزيرة العالم الأوراسية ونظرية قلب العالم. وإلى جانب تحليله لدور أوروبا الشرقية، زادت مساهمات ماكيندر النظرية من دور روسيا في التخطيط الجيوسياسي العالمي ووضعته نصب أعين من يتطلعون إلى الهيمنة العالمية.



هالفورد ماكيندر





ألفريد ثاير ماهان

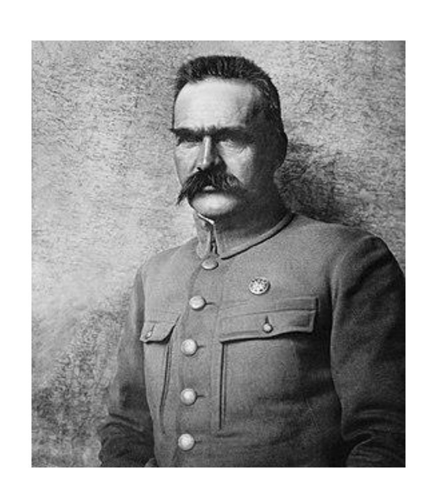
ثانيا: خطة بروميثيزيم (Prometheism)

تتناول المرحلة التالية من الفكر الجيوسياسي المتعلق بروسيا الزعيم البولندي ما بين الحربين العالمية الأولى والثانية جوزيف بيوسوتسكي[١١] واستراتيجيته الخاصة المسماة بروميثيزيم. يعتقد بيوسوتسكي أنه إذا كان من الممكن تحفيز الشعوب غير الروسية المنضمة إلى الاتحاد السوفياتي للتمرد ضد المركز، فإن الدولة بأسرها ستنهار لعددٍ لا يُحصى من الكيانات العرقية التي يمكن لبولندا استغلالها عن طريق نظام التحالف. وعلى الرغم من عدم نجاحه في تحقيق هذا الهدف، إلا أن بيوسوتسكي كان له تأثيرٌ قوي على الجغرافيا السياسية في روسيا، فلقد كان رائد الفكرة القائلة بأن زعزعة الاستقرار الاستراتيجي للمحيط الروسي يمكن أن تنتشر وتصل إلى الداخل، ويمكن اعتبار هذه الفكرة بمثابة النواة لفكرة ابن بلده زبيغنيو بريجنسكي بشأن بلقان الأوراسية الفعالة.

---

[١١] جوزيف بيوسوتسكي أو بيوسودسكي (1867-1935) رجل دولة بولندي، رئيس الدولة (١٩١٨-١٩٢٢)، "المارشال الأول" (من ١٩٢٠)، وزعيم سلطوي (1926-1935) في الجمهورية البولندية الثانية. يعتبر مسؤولا إلى حد كبير عن استعادة بولندا لاستقلالها عام ١٩١٨، بعد ١٢٣ سنة من تقاسمها بين الدول. نجح بيوسوتسكي بضم فيلنيوس من ليتوانيا بعد تمرد جليغوفسكي، لكنه لم يتمكن من ضم معظم موطنه الأم ليتوانيا إلى الدولة البولندية الحديثة.

ساعده في وضع استراتيجيته (البروميثيزيم) معرفته التفصيلية بروسيا التي اكتسبها نتيجة نفيه من قبل روسيا القيصرية لمشاركته في الحركة التحررية البولندية إلى سيبيريا الشرقية، ومن هنا اقتبس لها اسم بروميثيوس أحد عمالقة الأساطير الإغريقية باتخاذه رمزا للتنوير ومكافحة الطغيان.



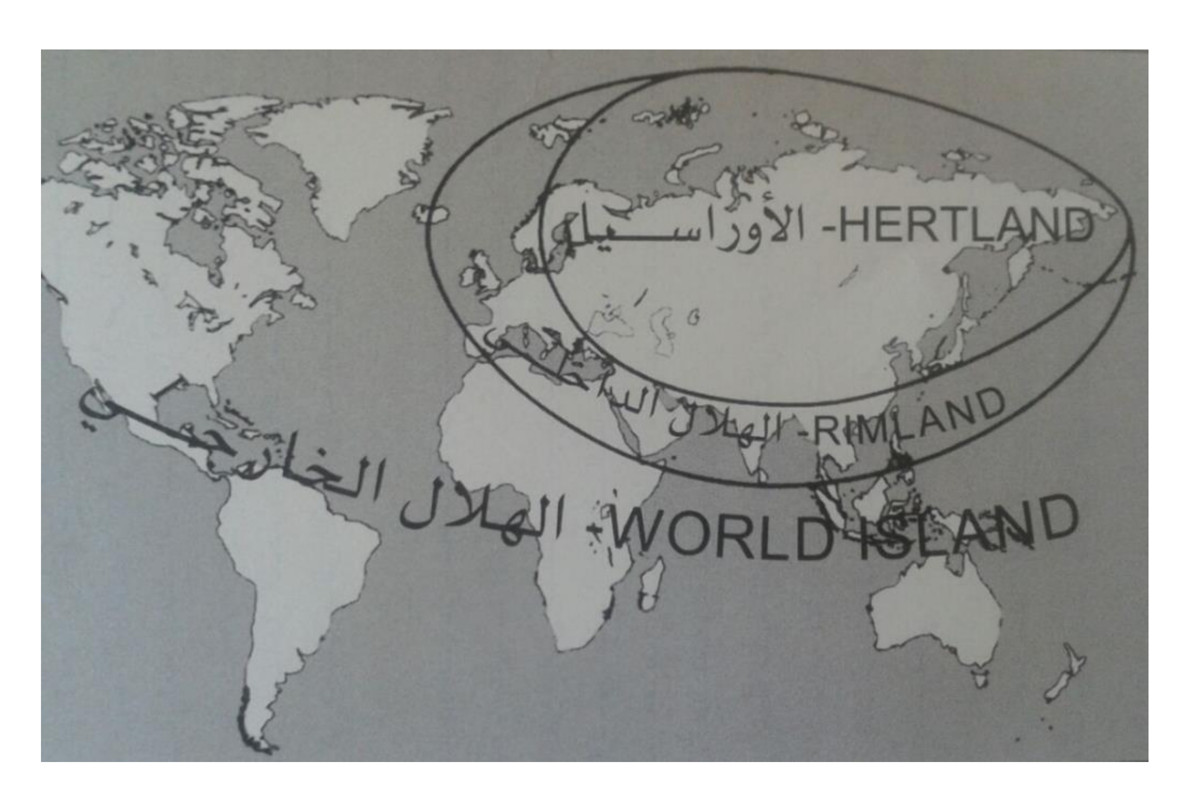
جوزيف بيوسوتسكي

ثالثا: محيط جزيرة العالم[١٢] (Rimland) وحزام الحطام

عاد نيكولاس سبايكمان إلى فكرة هلال ماكيندر الداخلي عام ١٩٤٤، وقام بتوسعتها عن طريق إعادة تسميتها بالـ رملاند Rimland (الهلال الداخلي)، ورأى أن هذه المنطقة هي أكثر أهمية من قلب العالم بسبب إمكاناتها الصناعية والقوى العاملة فيها، فضلاً عن إرثها الحديث من القوى التعديلية (Revisionist) العدوانية (فرنسا نابليون وألمانيا في الحربين العالميتين)[١٣]. وقد أدى ذلك إلى مراجعته لأطروحة ماكيندر عن أوروبا الشرقية وقلب العالم ووضعها تحت التعديل لتصبح كالتالي: "من يحكم محيط جزيرة العالم (الهلال الداخلي) يسيطر على أوراسيا. ومن يحكم أوراسيا يسيطر على أقدار العالم ".

[١٢] يُقصَد بجزيرة العالم: أوراسيا (أوروبا + آسيا).

[١٣] القوى التعديلية Revisionist هي مصطلح ضمن نظرية تداول القوة عبر التاريخ بين الدول، وهذه النظرية تنص على انتقال الهيمنة عبر التاريخ بين دولة مهيمنة إلى دولة عظيمة أخرى صاعدة، وتسمى الدول التي تحاول الصعود لنيل هذه الهيمنة بالقوى التعديلية، لأنها تحاول أن تغير من حالة عدم التوازن بين القوة المهيمنة والقوى الضعيفة، وفي مثال الكتاب كان نابليون يحاول أن ينتزع الهيمنة من بريطانيا على العالم، وكذلك أراد الألمان في الحربين العالميتين.



تقسيم العالم حسب نظرية سبايكمان



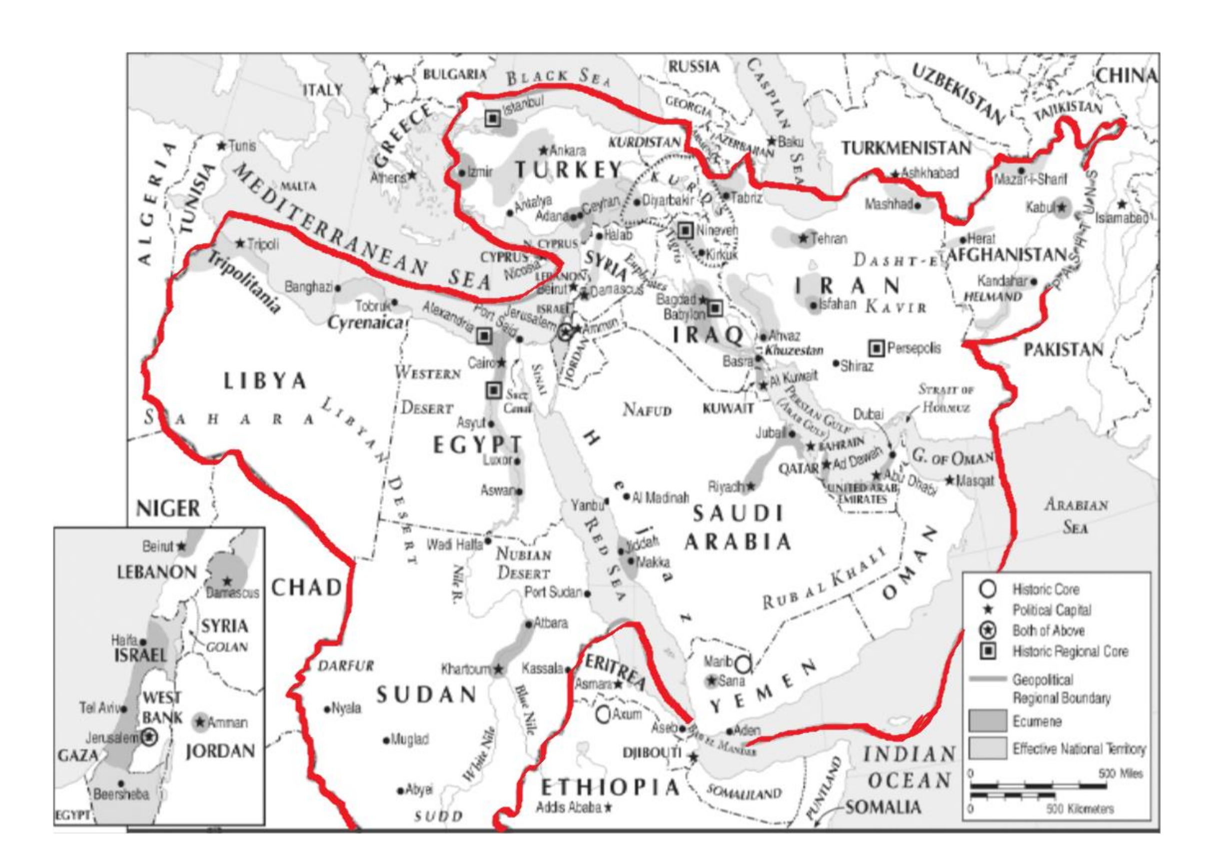
تظهر الخريطة التي اعتمدها سبايكمان في نظريته على لونين: الأول هو اللون الأحمر الغامق وهو محيط العالم ويقع كله في المياه، واللون الثاني هو الأحمر الفاتح وهي أوراسيا مفتاح قلب العالم.

غير أن ساول بي كوهين قد اتخذ بعد ذلك خطوة أبعد من خلال إجراء مقارنة بين الأقاليم لدول المحيط، فوضع مصطلحاً جديداً عُرِف بحزام الحطام (Shatterbelts). وقد وصفها بأنها "منطقة كبيرة ذات موقع استراتيجي يشغلها عدد من الدول المتصارعة، وهي عالقة بين المصالح المتعارضة للقوى العظمى"، التي اعتبرها تمتد من أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى والشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا. بسبب خصائصها المتنوعة كما تنبأ بأن هذه الأقاليم كانت الأكثر تنافراً، مما يزيد الصراع في هذا المكان أكثر من أي مكان آخر في العالم.



الجغرافي السياسي الأمريكي ساول بيرنارد كوهين[١٤]

[١٤] ساول بي كوهين: جغرافي وسياسي أمريكي أصدر عدداً من الكتب المهتمة بالشأن الجغرافي السياسي أهمها كتاب geopolitics: the geography of international relations ويمكن الرجوع له للحصول على كافة الخرائط المهمة للقارئ.



منطقة نطاق الحزام في منطقة الشرق الأوسط وافريقيا التي حددها ساول بي كوهين هي المنطقة التي بداخل الخط الأحمر وتضم الدول التالية: أفغانستان وايران وتركيا وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق والسعودية والكويت وقطر والبحرين والإمارات وعمان واليمن ومصر وليبيا والسودان وجنوب السودان.

رابعا: البلقان الأورواسي[١٥]

أصدر زبيغنيو بريجنسكي[١٦] مستشار الأمن القومي السابق لجيمي كارتر في عام ١٩٩٧ كتاب رقعة الشطرنج الكبرى: الأولوية الأمريكية ومتطلباتها الاستراتيجية. وفي هذا الكتاب الشهير لخصّ كيفية الحفاظ على هيمنة الولايات المتحدة على أوراسيا كقطب أوحد، وبالتحديد عن طريق استخدام شيء أطلق عليه اسم "البلقان الأوراسي"، والتي يعرّفها على هذا النحو:

---

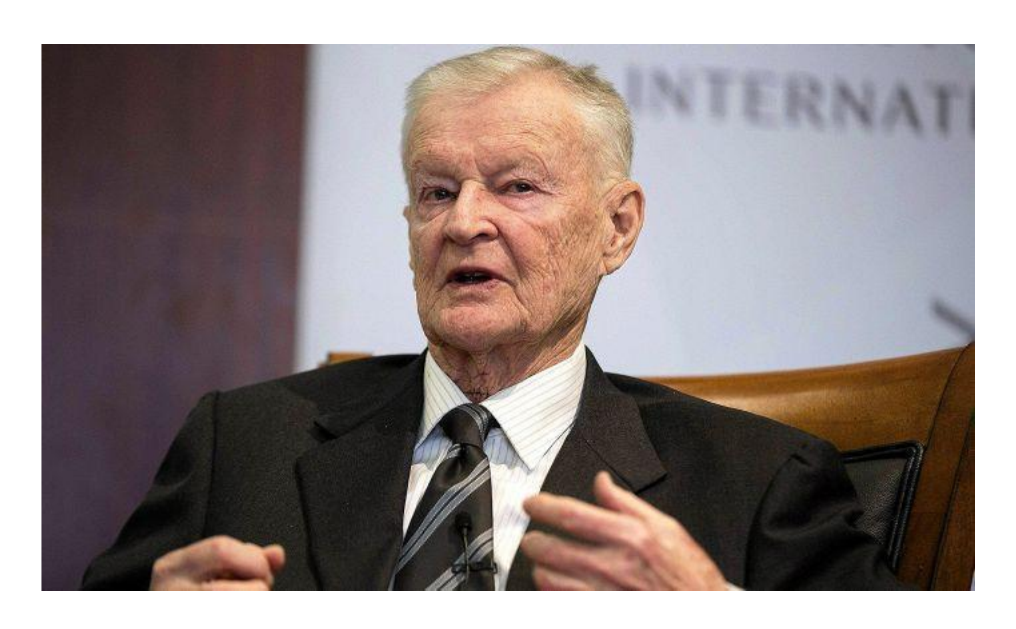
[١٥] البلقان الأوراسي: هي ما تعرف ايضاُ اليوم باسم آسيا الوسطى، نعتقد أن تسمية البلقان التي أطلقها بريجينسكي على هذه المنطقة هو بسبب تشابه أهمية هذه المنطقة لمنطقة البلقان، حيث أن منطقة البلقان في جنوب شرق أوروبا كانت مصدر الخوف والقلق للأوروبيين

[١٦] زبينغو بريجينسكي سياسي أمريكي من اصل بولندي، من أبرز مهندسي السياسة الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر، أبرز وأهم مؤلفاته كتاب رقعة الشطرنج الكبرى.



"تشكل دول البلقان الأوراسية النواة الداخلية لهذا المستطيل (أجزاء من جنوب شرق أوروبا وآسيا الوسطى، وأجزاء من جنوب آسيا، ومنطقة الخليج العربي والشرق الأوسط) ... ليس فقط بسبب كياناتها السياسية غير المستقرة، لكن لأنها تجذب وتدعو لتدخّل الجيران الأكثر قوة، كل واحدٌ منهم مصممٌ على معارضة هيمنة دولة أخرى على المنطقة. هذا المزيج المألوف من فراغ السلطة والقدرة على التوريط هو الذي يبرر تسميتها بالبلقان الأوراسية".

لقد وسّع بريجنسكي بشكل جوهري فكرة دول الأطراف/حزام الحطام لتشمل جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق في آسيا الوسطى والقوقاز. وهذا يضع "مرجلاً عرقيّاً" حسب تعبيره على عتبات روسيا. ثم اقترض من بيوسودسكي فكرة الزعزعة الإستراتيجية الطرفيّة في منطقة البلقان الأوراسي كطريقة ممكنة لإضعاف النواة الروسية والحفاظ على الهيمنة الأمريكية. كما أنه يصور هذا الأمر على أنه سيمنع تواطؤ القوى القارية التي قد تهدد السيطرة الأمريكية على أوراسيا.



زبينغو بريجينسكي

خامسا: ملخص السياق الجيوسياسي

إن مفهوم بريجنسكي في منطقة البلقان الأوراسية هو قمة التفكير الجيوسياسي الأمريكي. فإذا كان الفضل في بناء مفهوم جزيرة العالم وتحديد موقع روسيا كقلب العالم يعود ماكيندر، فقد حدد سبايكمان وكوهين نقاط ضعفه، وتآمر بيوسودسكي بشكلٍ مبتكر لتحطيمها، ثم جمع بريجنسكي تعاليمهم جميعاً في تحديد الضرورات الجيوستراتيجية للأولوية الأمريكية. من أجل إضعاف روسيا بشكل دائم، وبالتالي فإن السيطرة على قلب العالم تكون من خلال استهدافها بشكل غير مباشر عبر طريقة بيوسودسكي لزعزعة الاستقرار في مناطق مختارة من حزام الحطام.

الفكرة ليست أن تعزز بالضرورة النزعةَ الانفصالية داخل روسيا نفسها كما خطط لها بيوسودسكي (على الرغم من أن هذا سيخدم أيضا الأهداف الأمريكية)، وإنما الفكرة العامة هي الفوضى المحيطة وتعزيزها لتحقيق أغراضٍ استراتيجية. ويذهب المنطق إلى أنه إذا كان من الممكن أن تظل الأطراف الأوراسية في حالة دائمة من عدم الاستقرار أو التقلبات الفوضوية (أو على الأقل تكون مليئةً بالحكومات المعادية لروسيا، والتي ستكون في حد ذاتها مزعزعةً للغاية)، فإن روسيا ستُطرد من التوازن وستعجز عن إعاقة خطط الهيمنة الأمريكية. وكلما اقتربت هذه الفوضى المزعزعة للاستقرار من النواة الروسية، كان ذلك أفضل بالنسبة للمصالح الأمريكية.

يكمن التحدي الذي تواجهه أميركا اليوم في حقيقة أن العالم يزداد ميلاً نحو تعدد الأقطاب، إضافة إلى قدرة روسيا المتصاعدة على استعادة مصالحها في الدول الجارة لها (وتكتسب الصين وإيران هذه القدرة أيضاً)؛ فأصبح من الواجب على الولايات المتحدة الآن أن تستخدم بشكلٍ غير مباشر أساليبها المزعزعة للاستقرار. وعلى سبيل المثال، يكاد يكون من المستحيل أن تقوم الولايات المتحدة بتكرار حملة "الصدمة والترويع" التي قامت بها في العراق عام ٢٠٠٣ أو حملة الناتو في ليبيا عام ٢٠١١ في كازاخستان وأوكرانيا مثلاً، وذلك بسبب الظروف الدولية التي تغيرت والتكاليف الجانبية الهائلة (المادية والمالية والسياسية) التي قد تترتب عليها. لكن ما يمكن أن تستخدمه هو حملات التخريب الجيوسياسية الغير مباشرة تحت ستار الحركات "المؤيدة للديمقراطية" أو النزاعات المدنية المدعومة من الخارج. في الواقع، إن الجمع بين كل منهما في "ضربةٍ واحدة مزدوجة" هو "الضربة القاضية" للتغلب على الملاكمين من الأوزان الثقيلة الأوراسية، وفي هذه الحالة فإن الملاكم الخصم هو روسيا.

يكمن إبداع هذه المقاربة في أنها تنجح ببساطة عن طريق جني الفوضى وصناعة قوى جاذبة تهدد بتمزيق المجتمع المستهدف. وليس من الضروري أن تطيح بكل حكومة لكي تكون الطريقة ناجحة، فكل ما يجب فعله هو أن يصبح المجتمع منقسماً ومتحيّزاً بشكل كبير، وهو ما ينذر بالفوضى الاجتماعية. هذا المزيج من الفراغ والتوريط – كما وصفه بريجنسكي– يخلق مأزقاً جغرافياً سياسياً، والذي يمثل تحدياً هائلاً للدولة المستهدفة بشكل غير مباشر (روسيا) ويدفعها لاتخاذ مبادراتٍ تتخطى حدود الدول غير المستقرة مباشرة.

لقد وصلوا إلى طريق مسدود يجبرهم على التعامل مع الدولة المستهدفة بشكل غير مباشر (مثل أكرانيا). سواء أرادوا ذلك أم لا، سيضعهم هذا في موقف دفاعي

استراتيجي. ويزداد الأمر سوءاً إذا ما لاصقت الدولة المستهدفة بشكل مباشر الهدف الرئيسي غير المباشر، كما هو الحال مع أوكرانيا وروسيا[١٧].

الفصل الثاني: النظريات العسكرية

من المناسب الآن أن ندخل في تفسير بعض النظريات العسكرية التي تعزز جاذبية الحرب الغير مباشرة. ومن المهم أن نفهم كيف ولماذا يطبّق صناع القرار الأمريكيون هذه المفاهيم من أجل الحصول على فهم أفضل لنظريّة الحرب الهجينة. في هذا القسم، سيتم اختيار بعض النظريات والاستراتيجيات والتكتيكات، كما سيتمّ مناقشتها بشكل موجز يتضمن حصرا الجوانب المتعلقة بالحرب الهجينة.

أولا: حروب الجيل الرابع

عام ١٩٨٩، شارك وليام ليند في كتابة مقالة ضمن صحيفة قوات مشاة البحرية الأمريكية التي تنبّأت بالجيل القادم من الحروب. وفي تعريفه لحروب الجيل الرابع، توقع أن تكون الحروب فيه أكثر سلاسةً، ولا مركزيةً، وغيرَ متكافئة عن حروب الماضي. عندما ينظر المرء إلى انفجار نشاط الجهات الفاعلة غير الحكومية منذ نهاية الحرب الباردة، يتضح له بأن توقع ليند كان في محله. هذا النوع من الحرب يتوافق أيضاً مع أسلوب الحرب الغير تقليدية، وهذا يعني أنه يمكن اعتبار صعوده نتيجةً مباشرةً لحروب الجيل الرابع. كما توقع ليند أنه سيكون هناك تركيز متزايد على حرب المعلومات والعمليات النفسية، والتي تتناغم تماماً مع طريقة عمل الثورات الملونة. فقد ذكر في المقالة أنه:

---

[١٧] هذه النظرية هي الوجه الجيوسياسي للمذهب العسكري الأمريكي الذي ينتهج استخدام قرار الخصم الضعيف كسلاح ضد الخصم القوي الآخر، ويكون ذلك من خلال استخدام الأدوات الدبلوماسية والعسكرية لإقناع الخصم الضعيف بأن الطرف الآخر هو الخصم الأشد ضرراً على كيانه ودولته، ثم يتم عرض المساعدة العسكرية عليه بدون مقابل استراتيجي، عندها سيرى الخصم الضعيف أن الفوائد من هذا العرض متعددة وكبيرة ما سيدفعه لقبولها ودخول الصراع الجيوسياسي مع الخصم الآخر القوي ضمن حلف الطرف الأول وهو أمريكا في هذا المثال.

"قد تصبح العمليات النفسية السلاح العملياتي والاستراتيجي السائد، والتي ستكون على شكل تدخل إعلامي / معلوماتي ... الهدف الرئيسي منها هو وقف دعم شعوب العدو لسياسة حكوماتهم والحروب التي يخوضها. قد تصبح الأخبار التلفزيونية سلاحاً عملياتياً أكثر قوةً من الفرق المدرعة ".

وبالتالي وفي سياق الكتاب، نستطيع القول بأن توقعات ليند كانت دقيقةً جداً. فقد تنبأ بانتشار الحروب الغير تقليدية في المستقبل، وتصاعد حملات المعلومات واسعة النطاق ضد الحكومة. كما كتب أن الفوارق بين المدنيين والعسكريين "قد تختفي"، وهو ما حدث بالفعل. على وجه التحديد سيُنظر فيما بعد إلى كيفية انتداب المدنيين لأدوار عسكرية يفرضها الواقع أثناء الثورات الملونة، وكيفية استخدام الجيش الدعم المدني خلال الحروب الغير تقليدية. من خلال هذه الطريقة تعتبر الحروب الهجينة هي صورة مصغّرة عن حروب الجيل الرابع.[١٨]

ثانيا: الحلقات الخمس

يعد عقيد سلاح الجو جون واردن أوّل من أنشأ مفهوم الحلقات الخمس الإستراتيجية. وينص هذا المفهوم على وجود خمسة مراكز ثقل رئيسية تمسك القوى المتضادة وتجعلها معاً. وهي بداية من المركز (الأهم) وتوسعاً إلى الخارج: القيادة، وأساسيات النظام، والبنية التحتية، والسكان، وآليات القتال.

---

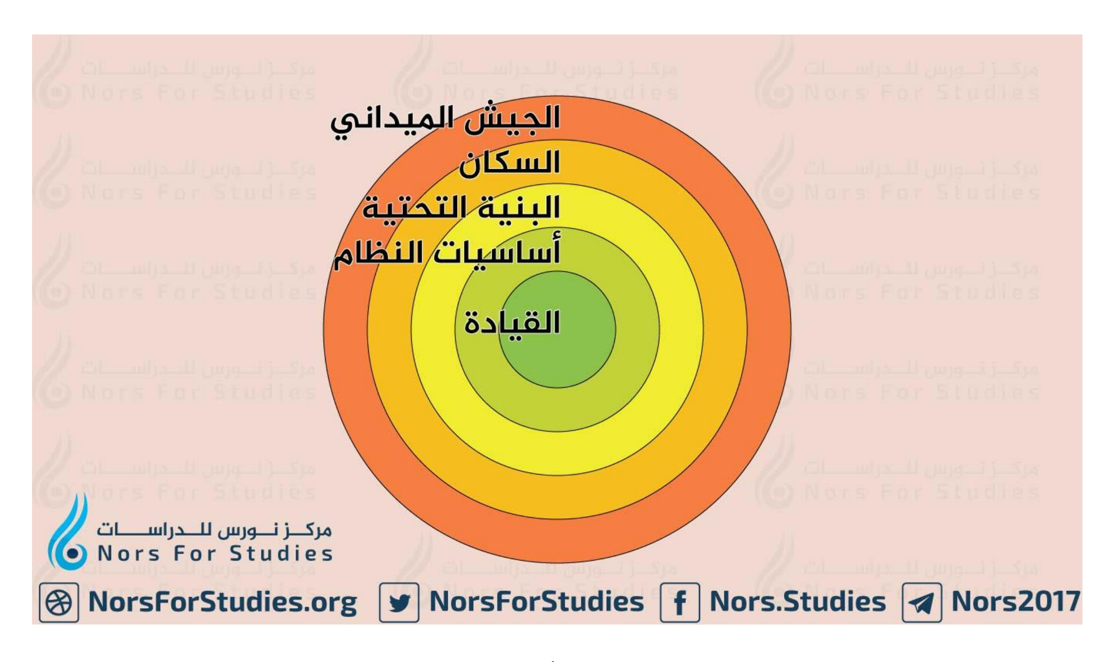
[١٨] وفقاً لليند في نفس المقال يقسم أجيال الحروب إلى أربعة أجيال:

١- حروب الجيل الأول: ذات تكتيكات الخط والأرتال ويرى ليند أنه نشأ بعد صلح ويستفاليا عام ١٦٤٨ كما حدث في الحروب النابليونية.

٢- حروب الجيل الثاني: حيث تم استخدام نيران المشاة بالتنسيق مع نيران المدفعية غير المباشرة كما في الحرب العالمية الأولى.

٣- حروب الجيل الثالث: تتضمن استخدام الآليات والمدرعات لخرق خطوط العدو وتطويق قواته ومن ثم تدميرها كما في الحرب العالمية الثانية.

٤- حروب الجيل الرابع: وهي التي يفصّل فيها الكاتب في هذه المقالة، بأنها حروب بين الدولة والتنظيمات المسلحة الإقليمية والعالمية، وهي الحروب غير المتكافئة (المتماثلة)، ويرى المؤلف الروسي أن الحروب غير المتكافئة هي الحروب غير التقليدية (Unconventional war) وهي حرب العصابات، فيما يتفق منظرون آخرون بكون الحرب غير التقليدية هي حرب العصابات، ويختلفون عن المؤلف بأن الحروب غير المتكافئة نوعٌ آخر من الحروب تخصّ التنظيمات المسلحة العالمية، وتشبه حرب العصابات في الأساليب.



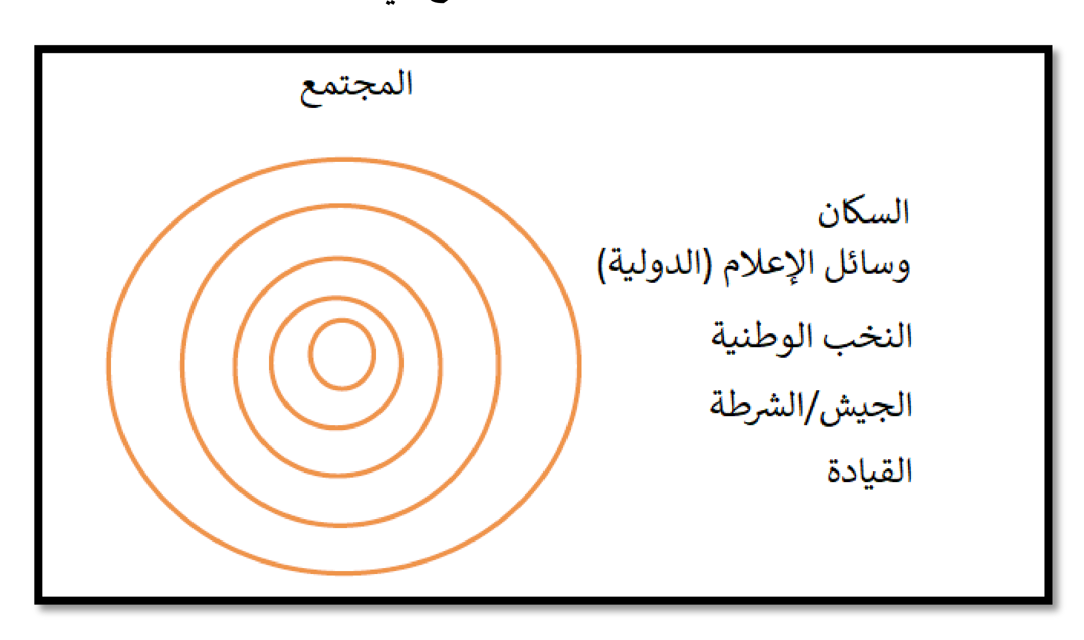
سلسلة دوائر التأثير عند جون واردن

يكتب واردن[١٩] أن العدو مثل النظام، وبالتالي فهذا يعني أن كل هذه الأجزاء مترابطةٌ إلى حد ما. وكلما اقترب أحدهم من النواة أكثر، كان الهجوم أكثر قوةً ودَوياً. ضرب أساسيات النظام على سبيل المثال سيؤثر على جميع الدوائر خارجها، في حين أن الإضرار بالجيش الميداني سيبقى منحصراً في تلك الحلقة فقط.

هذا المفهوم مهمٌ جداً لكل من الحروب الغير تقليدية والثورات الملونة، وهما ركنا الحرب الهجينة. عندما يتعلق الأمر بالحرب الغير تقليدية تسعى الوحدات القتالية لمهاجمة كلّ من هذه الدوائر، ولكن يبدو أن معظم التركيز هو على الثلاث الوسطى (السكان والبنية التحتية وأساسيات النظام) لإعاقتها وإضعاف فعاليتها. وبالطبع يحدث الهجوم على الجيش الميداني أو القيادة، ولكن بالنسبة لاستهداف الأول أي الجيش الميداني، فقد تزيد من الصعوبات ضد القوى الغير تقليدية، وبالنسبة للأخير أي القيادة قد يكون من الصعب اقتناص الفرصة لاستهدافهم.

[١٩] جون واردن جنرال أمريكي ولد سنة ١٩٤٣، وهو قائد سلاح الجو الأمريكي في حرب الخليج عام ١٩٩١ ومدير الأكاديمية الجوية العسكرية، مذهبه العسكري الجوي يعتمد على دوائر الأهمية وهي من الداخل للخارج على الترتيب التالي "القيادة، الاتصالات، المادة العسكرية، البنية التحتية، الشعب. أما دوائر التأثير فهي مبيّنة في الرسم أعلاه. أسس واردن معادلة تكتيكية أثناء عملية توجيه الضربات للخصم، وهي "اكتشف ثم صوّب ثم دمّر"، ويرى واردن أنه كلما أسرع القائد في تطبيق هذه المعادلة عند استهداف الحلقات كلما كان النصر من حليفه.

تبدو الحلقات الخمس مختلفةً عندما يتعلق الأمر بالثورات الملونة، فهناك مجموعتان مختلفتان من الحلقات لكل هدف، سواء كان ذلك في المجتمعَ أو الفردَ. ويُستهدَف المجتمع من قبل الثورة الملونة بشكل جماعي بعد اتخاذ قرار لبدء زعزعة الاستقرار. من الحلقة الخارجية إلى الحلقة الداخلية، كما يتضح في القائمة التالية:



الهدف من الثورة الملونة بعد تنشيطها هو الاستيلاء على السلطة والإطاحة بقيادة الدولة. وهي فعالةٌ للغاية في القيام بذلك، لأنها تجمع السكان في أسراب الاجتياح (وهو مفهوم سيتم وصفه في الفصل الثالث) للسيطرة على المؤسسات العامة التي تمثل الحكومة. وهكذا تأتي الحلقة الخارجية الضخمة مجتمعةً – أو تخلق الانطباع بحدوث ذلك، وهذا أمرٌ مهم – من أجل الضرب مباشرةً على الحلقة الداخلية، مع محاولة التحايل والمراوغة لتجاوز باقي الحلقات. وفي حالة حماية الجيش / الشرطة لنواة القيادة ونجاحها في صد الهجوم، فعندئذٍ يتم إعداد المسرح لحرب غير تقليدية، حتى لو كانت على نطاقٍ صغير مثل الأحداث في أوكرانيا (وليست على نطاق شامل ومكتمل كما حدث في سوريا).

النخب هي ثالث حلقة، لأنها تمتلك القدرة على التأثير على وسائل الإعلام والجمهور، ولكنها عادةً ما تكون غير قادرةٍ على التأثير على الجيش أو الشرطة. كما تتمتع وسائل الإعلام الدولية والمحلية بدرجاتٍ متفاوتة من الأهمية تبعاً للدولة

المستهدفة، إلا أن كليهما له تأثيرٌ على السكان. وقد تدفع وسائل الإعلام "الدولية" المناهضة للحكومة السلطاتِ إلى القلق والتردد في الدفاع عن نفسها ضد محاولة انقلاب الثورة الملونة، ولكنها ليست العامل الحاسم في إسقاط الحكومة أو بقائها.

الهدف الثاني للثورة الملونة هو الفرد، حيث تحاول "الحركة" أن تصطاد أكبر عددٍ ممكن منهم قبل بداية زعزعة الاستقرار. وتختلف هذه الحلقات لكل ثقافة وفئة عمرية ديمغرافية، حيث توجد العديد من الفروق داخل الدولة المُستهدَفة. واحد من الاحتمالات الكثيرة كما هو أدناه:



في هذا المثال تمثل العائلة جوهر حياة الفرد، لذلك إذا قامت حملة العمليات النفسية المعلوماتية باستهداف هذه الثغرة في إقناع الشخص بالانضمام للحركة، فستزداد احتمالية نجاحها. وبالمثل، إذا كانت الحركة تعزف على وتر المشاعر الوطنية، إلا أن الفرد أو غالبية السكان لا يركزون بقوة على هذا الأمر، فعندئذ لن تنجح الحركة بالتجنيد. وهذا يعني أنه يجب على كل ثورة ملونة أن تجمع أولاً بيانات عن المجموعة الديموغرافية (السكانية) المُستهدَفة ثم تقوم بعد ذلك بتسويق نفسها إلى الدائرة الأساسية الأكثر ضعفاً، هذه الدائرة التي تختلف من بلدٍ لآخر حسب الطبيعة النفسيّة لسكانه.

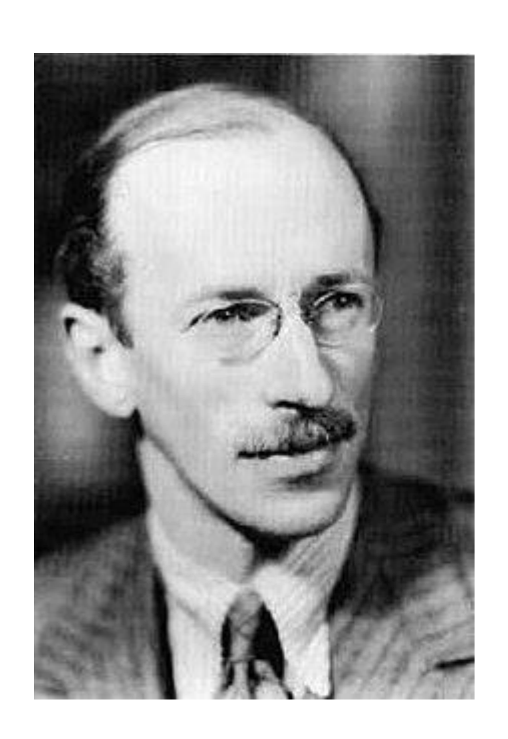
ثالثا: المقاربة الغير مباشرة وحلقة OODA

واحدة من الخصائص المميزة لحروب الجيل الرابع هي أنها غير مباشرة إلى حد كبير. فسواء كان ذلك من خلال الحروب غير المتكافئة أو العمليات النفسية، فإن الأهداف لا يتم مهاجمتها بشكل مباشر. تم ترسيخ مفهوم المقاربة الغير مباشرة بأكمله قبل فترة طويلة من ظهور حروب الجيل الرابع عام ١٩٥٤ من قبل المُنظّر بازل ليدل هارت. في كتاب "استراتيجية المقاربة الغير مباشرة"، حيث كتب عن ضرورة الاقتراب من الأهداف عبر الأساليب غير المتوقعة والغير مباشرة. ويتضمن كتابه السابق ذكره ما يلخص هذا المفهوم:

"فيما يختص بالاستراتيجية، كلما كان الطريق طويلاً ملتوياً كان الوصول إلى الهدف أقرب. وقد أثبت الواقع في كل مرة أن الاقتراب المباشر سواء كان من غرضٍ عقلي يقصده الإنسان بتفكيره، أو من غرضٍ مادي فإنه يحصل على طول "خط الانتظار الطبيعي" من وجهة نظر الخصم ومن شأن هذا الاقتراب أن يؤدي – بل وقد أدى فعلاً – إلى نتائج سلبية.

إن زحزحة توازن العدو من الوجهتين النفسية والمادية هي المقدمة الحيوية للمحاولة الناجحة للتغلب عليه... وهذه الزحزحة قد حصلت كنتيجة لمقاربة غير مباشرة، مقصودةً كانت أم عرضيةً. والتي قد تكون على أشكالٍ متنوعة"

تمثل الثورات الملونة الهجوم غير المباشر على حكومة الدولة المُستهدَفة، لعدم استخدامها أيَّ قوى خارجية تقليدية، وينطبق الأمر نفسه على الحروب الغير تقليدية. فبدلاً من إرسال جيشٍ ضد النظام مباشرةً لخوض القتال ضد الدولة أو جيشها، تقوم بذلك الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية بشكل غير مباشر عن طريق استهداف أجزاءٍ مختلفة من الحلقات الخمس (نقصد حلقات التأثير) بشكلٍ انتقائي. وهذا يجعلها غير واضحة المعالم ومن الصعب التنبؤ بها.



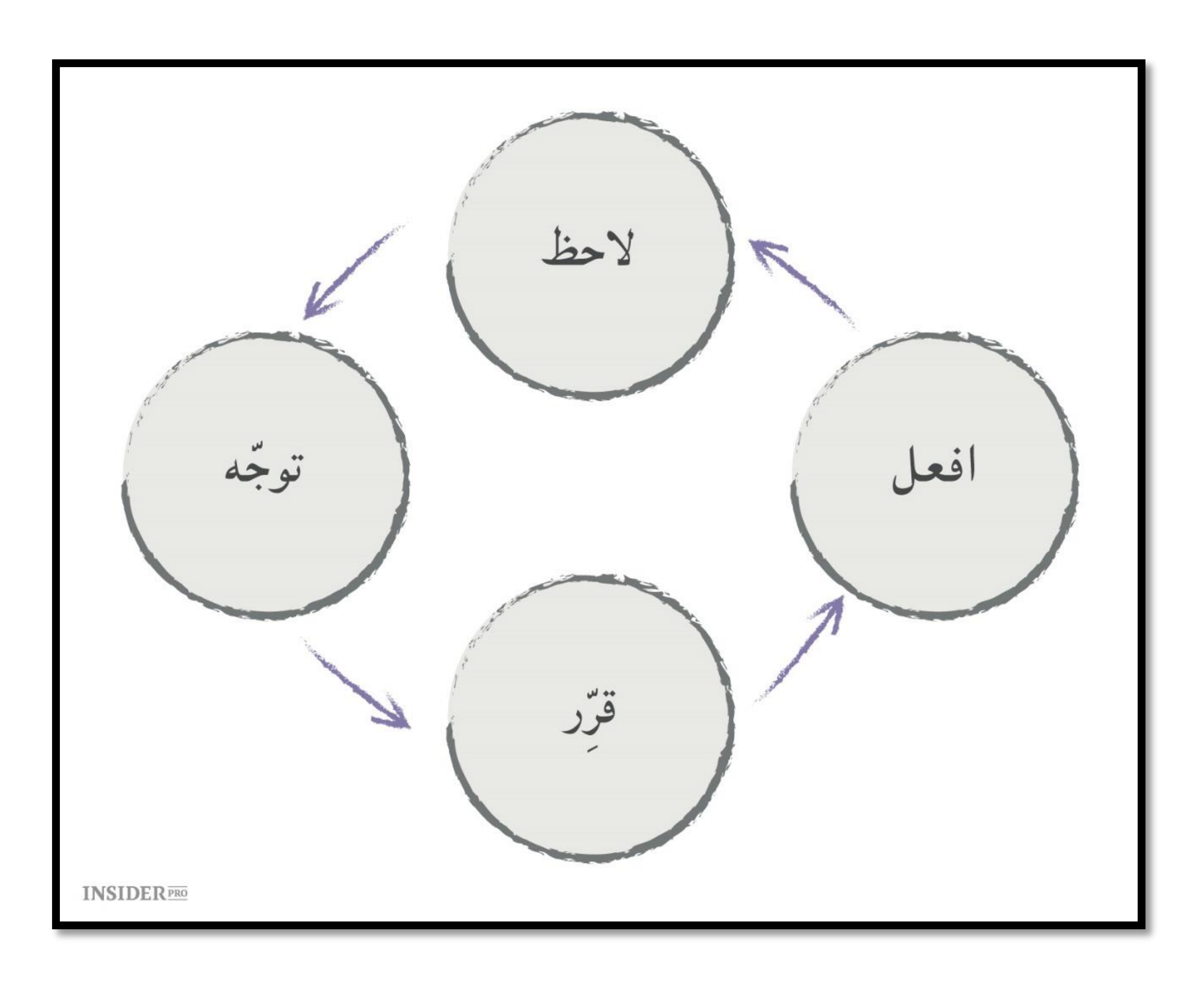
بازل ليدل هارت

إن عدم القدرة على التنبؤ هي "نقطة ضعف" حلقة OODA لجون بويد. على الرغم من أن الحلقة صيغت في البداية لمساعدة الطيارين المقاتلين، إلا أن روربرت غرين اعتقد بأن حلقة OODA قابلة للتطبيق في جميع مجالات الحياة أيضاً. والفكرة هي أن يتم اتخاذ القرارات بعد مراقبة الفرد للأوضاع، ومن ثم توجيه نفسه، ومن ثم اتخاذ القرار، ومن بعد ذلك التصرف. إن عدم القدرة على التنبؤ المصاحب للمقاربة الغير مباشرة يزعزع حلقة OODA المستهدفة عن طريق إرباكها، مما يعيق من يستخدمها عن اتخاذ القرارات السليمة والتصرف بشكل صحيح.

إن الثورات الملونة تربك الشرطة والجيش لأن مظاهرها مُصمّمةٌ بشكلٍ مقصود بحيث تبدو غير مُتوقّعة، وتتمتع الحروب الغير تقليدية في طبيعتها بهذه الصفة. من ناحيةٍ أخرى، عندما تحاول الثورات الملونة جذب المشاركين المحتملين، فإنها تكيّف رسالتها بطريقةٍ بسيطة قدر الإمكان لتصعّب على حلقة OODA إيجاد هدفها.[٢٠]

---

[٢٠] حلقة OODA :هي اختصار للكلمات لاحظ، وجّه، قرّر، تصرّف (Observe, Orient, Decide, Act). عندما يكون الشخص في حالة يحتاج فيها إلى قرار، يقوم بالمرور دون شعور خلال حلقة OODA ، حيث يراقب أولاً الموقف، ثم يوجه نفسه له، يتخذ قراراً مبنياً على الخبرة السابقة، وأخيراً يتصرف. افترض Boyd (قائد في سلاح الجو الأمريكي) أنه إذا استطعت في ظروف النزاع أن تسرع حلقة OODA لديك وتبطئ حلقة OODA لخصمك، فسوف تنتصر. الأمر الممتع في حلقات OODA أنه عندما تتم مقاطعة



حلقة OODA وهي تعمل على الترتيب كالتالي: لاحظ ثم توجّه ثم قرّر ثم افعل

رابعا: نظرية الفوضى (Chaos theory)

في الحروب الهجينة، تمثل نظرية الفوضى واحدةً من أكثر الاتجاهات الفكرية القابلة للتطبيق. كتب ستيفن مان مقالةً بعنوان "نظرية الفوضى والفكر الاستراتيجي" عام ١٩٩٢ في محاولة لدمج هذين المفهومين المتناقضين على ما يبدو. يجب أن نذكر بأن فهم مان للفوضى قد يكون مختلفاً عن فهمه للقارئ، فهو يعتبر الفوضى مرادفاً لـ "الديناميات اللا خطية"[٢١] وتنطبق على "الأنظمة ذات الأعداد الكبيرة جداً من الأجزاء

إحدى مراحل الحلقة، تعود الحلقة إلى المرحلة الأولى، فعلى سبيل المثال، إذا قاطعت حلقة خصمك بعد أن اتخذ قراره لكن قبل أن يتصرف، سوف يعود لمراقبة الوضع الجديد من الصفر. تعد هذه الحلقة أحد المبادئ الأساسية الحربية الحالية للمناورات العسكرية البرية والبحرية والجوية في قوات الجيش الأمريكي.

[٢١] الدينامية اللاخطية أو الدينامية الغير خطية هي دراسة النتائج العشوائية الفوضوية لحركة تطور المجتمعات في ظل ظروف معينة بغية وضع خطط وآليات للتحكم في نتائجها. والدينامية كمصطلح تعني التطور، ولها في علم الاجتماع أنواع متعددة، فهي قد تكون خطيّة أو دائريّة أو تصاعدية أو عشوائية "لا خطيّة".

المتحركة" (مثل المجتمع أو الحرب). وعلى الرغم من أن الفوضى قد تبدو غير منظمة كما يقول، فمن الممكن أن نرى بين الفينة والأخرى بعض مظاهر النظام المُنمّط وسط الفوضى، خاصة في "الأنظمة الفوضوية الضعيفة".

وهو يفترض أن الفوضى تعتمد على عددٍ قليل من المتغيرات الأولية، وأنه "بمجرد حصولنا على وصف دقيق لبيئتنا، فنحن في وضع يمكننا من وضع الاستراتيجيات التي تعزز مصالحنا". هذه المتغيرات هي التالية:

١) الشكل الأولي للنظام
٢) الهيكل الأساسي للنظام
٣) التماسك بين الجهات الفاعلة
٤) طاقة الصراع للأفراد الفاعلين

وهذه المتغيرات تعتمد عليها الثورات الملونة بقدر ما تعتمد عليها الحروب الغير تقليدية. على سبيل المثال فإن الشكل الأولي للوضع الاجتماعي في البلد المُستهدَف لا تقل أهميتها للثورة الملونة عن أهمية الشكل الأولي للوضع المادي والعسكري والبنيوي للحرب الغير تقليدية.[٢٢] وينطبق الأمر نفسه على المتغيرين الآخرين.

تزداد الأمور إثارة للاهتمام عندما نأتي للمتغير الأخير، وهي طاقة الصراع بين الأفراد الفاعلين. يكتب مان أنه "لتغيير طاقة الصّراع بين الشعوب – لتقليلها أو توجيهها بطرق مواتية لأهداف أمننا القومي – نحتاج إلى تغيير البرمجة. وكما أظهر المخترقون، فإن أكثر الطرق شراسةً لتغيير البرمجيات هي باستخدام "الفيروس"، وهل الإيديولوجية غير اسم آخر لفيروس البرمجة البشرية؟ "بالرغم من أنه كتب هذا في إشارة إلى ما يسميه" التعددية الديمقراطية في أميركا واحترامها حقوق الإنسان الفردية "، فهي قابلة للتطبيق في العديد من السياقات الأخرى.

[٢٢] لزيادة التوضيح في الثورات الملونة يجب تخيل أن النظام مكونٌ من أوضاع اجتماعية ومادية وعسكرية وبنيوية، والثورات الملونة تحاول أن تستغل كل هذه الأوضاع ضمن هذا النظام، بينما الحروب غير التقليدية تستطيع أن تنشأ في ظل أوضاع السابقة جميعها باستثناء الوضع الأولي الاجتماعي، من هذا نفهم أن الثورات الملونة أضافت البعد الاجتماعي في مخطط اسقاط نظام ما.

ببساطة، يمكن للثورة الملونة تكييف رسالتها لإنشاء "فيروسٍ" خاصٍ بها لاستمالة عناصر جدد بالاعتماد على القانون الحضاري / الثقافي وعلى أفضل طريقة لاختراق الحلقات الاجتماعية الخمس للمواطنين، والتي تم توضيحها سابقاً. يصيب الفيروس الأفراد من خلال العمل على تغيير مشاعرهم السياسية، والفكرة هي أنه بمجرد أن يصيب الفيروس "ضحيةً" واحدة، فإن هذا المُصاب سوف "ينشر" أفكاره الجديدة إلى الآخرين، مما سيؤدي إلى "العدوى السياسية". سيتم مناقشة هذا الأمر وقضية إنشاء "الأسراب" عبر حرب شبكات التواصل الاجتماعية باستفاضةٍ في الفصل الثالث، وذكرنا هذا القدر الآن فقط للإشارة إلى ذلك الجانب الاستراتيجي بسبب صلته بالموضوع.

يعتبر دمج المبادئ الفوضوية في الحروب الهجينة جانباً مميزاً لحروب الجيل الرابع. وكذلك، نتيجةً لطبيعتها اللّا خطية، تصبح بطبعها غير مباشرة ولا يمكن التنبؤ بها في البداية حتى الهدف، مما يساعد على إرباك حلقة OODA لاتخاذ القرار التي ناقشناها قبل قليل. على المستوى الجيوسياسي تستوفي الفوضى مفهومَ بريجينسكي الأوراسي البلقاني، مما يدل على أنه يمكن أن يكون له تأثير في العلاقات الدولية، وكذلك في علم الاجتماع والعلوم العسكرية. وهذا يجعل عملية صنع الفوضى متفنّنة وتمتد آفاق تطبيقاتها بعمق.

عندما يتم إطلاق العنان للفوضى في العلاقات الدولية عن عمد ضمن إطار استراتيجية أكبر، فقد يتم وصفها بالفوضى "البنّاءة" أو "الخلّاقة" أو "المُدارة". استُخدم هذا الشكل من الفوضى لوصف أحداث الربيع العربي – ثورة ملونة على نطاق المسرح، كما في شرائح باور بوينت التي عُرِضت في مؤتمر موسكو حول الأمن الدولي ٢٠١٤– وزعزعة الاستقرار من قبل الخارج ومن أطرافٍ فاعلة غير حكومية في سوريا والعراق. الحرب الهجينة في جوهرها هي فوضى مُدارة، تبدأ كالفيروس الذي يقلب النظام الاجتماعي للدولة المستهدفة، وإذا عجزت أسراب الحشود

الجماهيرية والطليعة من أشباه العصابات (مثل أفراد القطاع الأيمن[٢٣]) عن الاستيلاء على السلطة أو تهديد الحكومة للتنحي من تلقاء نفسها، تبدأ الحرب الغير تقليدية الفعلية. الخطوة الأخيرة –ضمن الحرب الهجينة– المتمثلة ببدء الحرب الغير تقليدية هي المساهمة الأخيرة والمكملة والجديدة للثورات الملونة التي تخلق بمجموعهما "أي الثورات الملونة والحرب الغير تقليدية" الحرب الهجينة. فقد تعلّم الغرب من فشل الثورة الملونة في بيلاروسيا وأوزبكستان وغيرها من الأماكن التي بدأت فيها محاولات الانقلاب بدون أي خطة للحرب الغير تقليدية. إذا أخذناهما معاً كحزمةٍ موحدة (كما رأينا في سوريا وإلى حد ما في أوكرانيا)، فإن الهدف النهائي من مزيج الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية (الحروب الهجينة) هو الفوضى المنهجية.

خامسا: قُدّ من بعيد (Lead from behind)

ذكرنا في المقدمة أن بعض القيود الدولية تمنع أمريكا من استخدام القوة خارجها. على سبيل المثال، فإن عودة ظهور روسيا وتكافؤها النووي مع الولايات المتحدة يجعل من المستحيل على البنتاغون أن يشرع في غزوٍ لتغيير النظام في أوكرانيا أو كازاخستان. ولذلك صاغت الولايات المتحدة سياسة "قُدّ من بعيد" للتعامل مع مثل هذه الحالات. وقد تم تعريف هذه السياسة على أنها "مساعدة عسكرية أمريكية سريّة لآخرين الذي يتمثل دورهم في القيام بالضجيج".

إنها الاستراتيجية الجديدة لمسارح الحرب، حيث أن الولايات المتحدة مترددةٌ في الانخراط بشكل عسكري مباشر، وذلك يعود لكثير من الأسباب. وهي تعتمد على استخدام قادة/حلفاء إقليميين بالوكالة لتحقيق أهدافها الجيوستراتيجية والجيوسياسية من خلال الإجراءات الغير متكافئة لحروب الجيل الرابع. ولئن حدث في البداية أن

---

٢٣ هي حركة وحزب سياسي قومي أوكراني يميني متطرف تأسس في نوفمبر 2013 ككونفدرالية شبه عسكرية لعدة أحزاب قوميّة خلال ثورة الميدان الأوروبي في كييف شارك، فيها مقاتلو الشوارع يقومون بتنفيذ الاشتباكات مع شرطة مكافحة الشغب. أصبح الائتلاف حزباً سياسياً في 22مارس 2014 ، يدّعي الحزب أن لديه ما يقرب من ١٠.٠٠٠ عضو. وقد وُصفت إيديولوجية القطاع الأيمن بأنها قومية، فاشية جديدة، أو من اليمين المتطرف. كان القطاع الأيمن ثاني أكثر المجموعات السياسية المذكورة في وسائل الإعلام الروسية خلال النصف الأول من عام 2014، وقد وصفهم التلفزيون الحكومي الروسي بأنهم النازيون الجدد. ولم تجد وكالة أسيوشيتد برس أي دليل على أن الجماعة ارتكبت جرائم الكراهية.

تم تصوّر فرنسا والمملكة المتحدة بأنهما حليفان تقودهما الولايات المتحدة من بعيد في الحرب الليبيّة، فمن الممكن أيضاً وصف بولندا وتركيا بأنهما حليفان تقودهما الولايات المتحدة من بعيد للقيام بعملية زعزعة الاستقرار في أوكرانيا وسوريا. وفي حين أن فرنسا والمملكة المتحدة قامت بدورٍ قتالي أكثر تقليديةً، فإن بولندا وتركيا بسبب حساسية الدول التي تعملان على زعزعة استقرارهما فإنها قد مضتا قدماً في مقاربة حروب الجيل الرابع. ومن أجل إثبات نظرية الحرب الهجينة، سنعتبر أن استراتيجية قُدّ من بعيد بالنسبة لبولندا وتركيا من الآن فصاعداً هي مقاربتهما لحروب الجيل الرابع.

كانت استراتيجيات تغيير النظام التقليدية القوية (مثل ما حدث في بنما وأفغانستان والعراق) ممكنة في عالم أحادي القطب، ولكن مع تلاشي زمان القطب الأوحد، اضطرت الولايات المتحدة إلى إحياء نموذج "قُدّ من بعيد" الذي اندلع لأول مرة خلال الحرب السوفيتية الأفغانية. كان أول مؤشرٍ رسمي على أن الولايات المتحدة تتجه نحو هذه الاستراتيجية هو سلوكها خلال الحرب الليبية عام ٢٠١١، وفيها استخدِم لأول مرةٍ على الإطلاق مصطلح القيادة من بعيد. تبع ذلك الخطاب الأخير لوزير الدفاع الأمريكي روبرت غيتس في ذلك الصيف، والذي دعا فيه حلفاء الناتو إلى بذل المزيد لمساعدة الولايات المتحدة في مواجهة التحديات العالمية. وهكذا أصبح من الواضح أن الولايات المتحدة لم تعد متحمسة لـ "الذهاب بمفردها" كما كانت من قبل، ولا يبدو أنها مستعدة لطرح الإنذار النهائي "إما معنا أو ضدنا."

إن الرأي القائل بأن القوة الأمريكية بدأت تنحدر نسبياً مقارنةً بالقوى العظمى الأخرى لقيَ تأييداً رسمياً من قبل مجلس الاستخبارات القومي في أواخر عام ٢٠١٢. حيث طرح في منشوره "الاتجاهات العالمية ٢٠٣٠" كيفية تحول الولايات المتحدة إلى "الأولى بين النظراء (الأنداد)"[٢٤] لأن زمان القطب الأوحد قد ولّى، والسلام الأمريكي

[٢٤] أول النظراء مصطلح مأخوذ من اللاتينية ويعني الأول بين الأنداد. وهو لقب شرفي استُخدِم منذ القدم لتشريف عضو ما رسمياً مع كونه على نفس الدرجة مع الأعضاء الآخرين من المجموعة التي ينتمون إليها في مجالس الشيوخ الرومانية. ومع ذلك كان يُستخدَم هذا المصطلح في كثير من الأحيان للسخرية أو النقد الذاتي.

– عصر الصعود الأمريكي في السياسة الدولية الذي بدأ عام ١٩٤٥ – بدأ ينحسر بسرعة. وفي ظل بيئة تنافسية كهذه يبدو من الواضح استحالة فرض الانفرادية[٢٥] العنيفة دون حدوث مخاطر من العواقب الغير مباشرة، وهذا أعطى دفعةً إضافية لتنفيذ استراتيجية قُدّ من بعيد في صميم التخطيط العسكري الأمريكي.

وأخيراً، قام الرئيس أوباما بتكريس نموذج "قدّ من بعيد" في خطابه لدى وست بوينت في نهاية مايو ٢٠١٤. حيث قال في كلمته بالتحديد (يجب على أمريكا أن تقود على المسرح العالمي ... لكن العمل العسكري الأمريكي لا يمكن أن يكون الوحيد – أو حتى الأول – كمكون لقيادتنا في كل حالة. فقط لأن لدينا أفضل مطرقة لا تعني أن كل مشكلةٍ هي مسمار). وقد فُسِّر هذا على أن الولايات المتحدة تتخلى رسمياً عن مبدأ "امضِ بمفردك" إلا في ظروفٍ استثنائية. عند هذه النقطة بدا من الواضح أن الولايات المتحدة قد أظهرت بشكلٍ قاطع نيتها في مقايضة موقعها كشرطيّ للعالم مقابل التخفي باستخدام عقلية قُدّ من بعيد. ومما يوضح هذه النقطة أيضاً أن التحول الاجتماعي والسياسي على نطاق المسرح – الذي تصورته الولايات المتحدة مع الربيع العربي – لم يكن لينجح باتخاذ إجراء أحادي الجانب. ولذلك فإن عام ٢٠١١ يمثل النهاية الرسمية لزمان القطب الأوحد وبداية حقبة قدّ من بعيد، والتي هي في حد ذاتها تمثّل وسيلة التكيّف للجيش الأمريكي لعالمٍ متعدد الأقطاب.

تتضمن استراتيجية قُدّ من بعيد تطبيق كلٍ من الثورة الملونة والحرب الغير تقليدية، مع أنها تُطبَّق بشكل أكثر شيوعاً في الأخيرة. بالنسبة للثورات الملونة، فإن الولايات المتحدة تقودها من بعيد عن طريق صناعة خطةٍ لزعزعة الاستقرار بالكامل، ومن ثم استخدام وكلائها على الأرض لتنفيذ هذه الخطة.

كما أنه من المهم بالنسبة لحكومةٍ مؤيّدة للولايات المتحدة أن تجاور دولةً تمر بمحاولة الانقلاب من أجل توجيه الدعم المادّي إلى المُنظِمين والمشاركين في الثورة

[٢٥] يُقصد بالانفرادية في مجال العلاقات الدولية هو أن تعمل دولة (عادةً ما تكون عظمى) لمصالحها الخاصة في شؤونها الخارجية مع إغفال أي اعتبار لمصالح الدول الأخرى.

الملونة. يمكن لهذه الدولة أيضاً أن تضغط على الحكومة المُستهدَفة وتهدّدها لمنعها من استخدام حقّها في الدفاع عن نفسها بالقوّة من محاولة الانقلاب. ومن بعدها وبموجب "السيناريوهات المناسبة"، يمكن أن تكون تلك الدولة بمثابة نقطة انطلاق لمرحلة التدخل العسكري المفتوح ضمن المقاربة المتكيّفة (وحتى أكثر من ذلك إذا كانت عضواً في حلف شمال الأطلسي أو شريكاً وثيقاً للناتو). يمكن للولايات المتحدة أيضاً استخدام حلفائها في نقل المواد الضرورية لتحويل الثورة الملونة إلى حرب غير تقليدية. أما بالنسبة للحالة الأخيرة التي يمكن أن نراها بشكلٍ بارزٍ في دور تركيا والأردن بالنسبة لسوريا، فإن الولايات المتحدة تستخدم شركائها الذي تقودهم من بعيد كأراضي لتدريب المتمردين المناهضين للحكومات وكقنواتٍ لتمرير الأسلحة.

سادسا: خلاصة النظريات العسكرية

والخلاصة أن جون بويد قد اقترح فكرة الحلقات الخمس من أجل وضع تصور أفضل للطريقة الأمثل في مهاجمة العدو، بحيث كلما كانت الحلقة المستهدفة أقرب للمركز، كلما زادت فعالية الهجوم لأن قرب هذه الحلقة من المركز يجعلها أكثر ثقلا. يمكن نقل مفهوم بويد من المجال العسكري إلى التطبيق الاجتماعي في حملات االدعاية الخاصة بالثورات الملونة. وإذا دخلنا ضمن الثورات الملونة في مجال "تسويق" المفاهيم السياسية، فهناك حلقاتٌ مختلفة بحسب حضارة / ثقافة كلٍ من المجتمع العام والفئات الديموغرافية المحددة، ومع وجود هذه الحلقات في المجتمع فإنه من الأفضل اتباع مقاربة ليدل هارت الغير مباشرة، التي تقتضي التغلب على حلقة OODA المحورية.

لعله من الممكن أن نَعُدّ نظرية الفوضى أهم ابتكارٍ في الحروب والأكثر صلة بالحروب الهجينة. إن الديناميات اللا خطية التي يصفها ستيفن مان هي زبدة حروب الجيل الرابع، وهي الحالة غير الواضحة المعالم لهذا المجال. وبحكم طبيعتها تسعى نظرية الفوضى لاستغلال ما يبدو غير متوقعٍ، مما يجعلها غير مباشرة إلى حدٍ كبير وقادرةً تماماً على تحييد حلقة OODA. تحدث الفوضى (البنّاءة / الخلّاقة / المُدارة) عندما تكون هناك محاولة لتسخير هذه القوى لأغراضٍ استراتيجية. الثورات الملونة

والحروب الغير تقليدية تنسجم تماماً مع هذا المبدأ، مما يجعلها أكثر فاعلية من التكتيكات القديمة والتقليدية التي كانت تستعمل سابقا في تغيير الأنظمة.

وفي النهاية، كانت الولايات المتحدة رائدةً في الاستراتيجية الجديدة لشن الحرب في العالم متعدد الأقطاب المتمثلة باستراتيجية قُدّ من بعيد. وهذا يسمح للولايات المتحدة بالقيام بعمليات زعزعة الاستقرار مستعينة في ذلك بحلفاء إقليميين ذوي عقليات مشابهة لها، وهي تتوجه نحو هذه السياسة إذا رأت أن الهدف مكلفٌ للغاية أو حساسٌ سياسياً في حال سعت إليه مباشرةً لوحدها. إن هذا الأسلوب يرقى أساساً إلى الحرب بالوكالة، مع قيام الولايات المتحدة بإدارة مساهمات جهود حلفائها من بعيد. وهذه الاستراتيجية الجديدة عمرها بضع سنوات ولا تزال في طور النمو، إلا أن مساهمة تركيا والأردن في الأزمة السورية توفر نموذجاً قوياً لهذه الاستراتيجية، ومن المفيد متابعته للتنبؤ باتجاهها المستقبلي. بالإضافة إلى ذلك ساعدت بولندا في تنفيذ دور هيكلي مماثل خلال انقلاب الميدان الأوروبي في أوكرانيا، ولكن بما أن عملية تغيير النظام الأوكراني كانت ناجحةً في مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن، فإن الإمكانيات الحقيقة لبولندا في زعزعة استقرار جارتها أوكرانيا لم تُستخدَم كاملة.

الفصل الثالث: الهيمنة التامة (Full spectrum dominance)

في ٣٠ مايو عام ٢٠٠٠، أصدر البنتاغون وثيقةً استراتيجية بعنوان "رؤية مشتركة: ٢٠٢٠"، صرّح فيها بأنه يهدف إلى تحقيق الهيمنة التامة من خلال هذه الاستراتيجية، كما جعل أهم أبعادها أنها "مقنعةٌ بالسلام، حاسمةٌ في الحرب، متفوقةٌ في أي شكلٍ من أشكال الصراع". وتشرح دائرة صحافة القوات الأمريكية التابعة لوزارة الدفاع هذا الهدف بالقول أنه "قدرة القوات الأمريكية التي تعمل بمفردها أو مع حلفائها على هزيمة أيّ خصمٍ والسيطرة على أيّ وضعٍ عبر مجموعة من العمليات العسكرية".

ألّف ويليام إنغدال كتاباً عام ٢٠٠٩ حول هذا الموضوع، أثبت فيه أن الأولوية الرئيسية للولايات المتحدة هي الحصول على هيمنةٍ تامة في مجالات الأسلحة التقليدية، والأسلحة النووية، وخطابات حقوق الإنسان وغيرها من المعايير التي تدخل ضمن الجغرافيا السياسية، والفضاء، والاتصالات. وباختصار فإنها تريد السيطرة على كل شيء وأيّ شيء يمكن تسليحه أو يمكن أن يكون له نوع من الأهمية في ساحة المعركة أو في وعي الجهات الفاعلة ضمنه، ويوثّق إنغدال بدقة التقدّم المطرد الذي يحققه البنتاغون في السيطرة على هذه العوامل وحرمان خصومه من هذه الميزة الحاسمة. كما أنه يوجز الأساليب المختلفة لتحقيق ذلك، بما في ذلك الثورات الملونة التي تستخدمها الولايات المتحدة لمحاولة السيطرة على روسيا والصين.

أولا: الهيمنة التامة والثورات الملونة

يخصص كتاب إنغدال فصلاً كاملاً عن ظاهرة الثورات الملونة وكيف يتم تشكيلها من الناحية المؤسسية. كما يقدم عرضاً مفصلاً عن تاريخها، واستخدام المنظمات غير الحكومية كواجهة أمامية، ونشرها لتأمين مصالح الطاقة الجيوستراتيجية الأمريكية. لذلك فإننا نُوصي القارئ بالرجوع إلى مصادر هذا البحث للحصول على معلوماتٍ قيمة حول هذه الجوانب. ومع ذلك، فإن الكتاب يشرح الأسس النظرية للثورات الملونة، وكيف أنها تتلاءم مع المكانة الجديدة لاستراتيجية الهيمنة التامة إلى جانب الحرب الغير تقليدية، وهذا التلاؤم بينهما لم يتم تناوله في عمل إنغدال.

إن شعار "مقنعةٌ بالسلام، حاسمةٌ في الحرب، متفوقةٌ في أي شكلٍ من أشكال الصراع" يشكل العمود الفقري للثورات الملونة، فبادئ ذي بدء تبدأ الثورات الملونة على شكل حملات معلومات تستهدف السكان المُتضررين، بحيث تكون مقنعةً لتتمكن من الوصول إلى أكبر عددٍ ممكنٍ من الجمهور (في بعض الحالات قد يكون من الأفضل استراتيجياً أن تصل فقط إلى مجموعةٍ ديموغرافية معينة لتدفعهم "للثورة"، فعلى سبيل المثال، قد يزيد ذلك من التمزق العرقي الموجود داخل المجتمع). وهذا

هو الوقت الذي تتمكن فيه نسخة حلقات واردن الخمس الخاصة بالمؤلف[٢٦] من الوصول بفعالية إلى مختلف المجتمعات والأفراد. يمكن استخدام التلميحات والتعريضات لتقديم مقاربةٍ غير مباشرة وفعالةٍ لاختراق الحلقات، مع ذلك سنناقش عن هذا الأمر أكثر في الفصل الثاني.

يتلخص جوهر الثورات الملونة في الهيمنة الاجتماعية، وأن تصبح الحركة قادرةً على تسخير جموع كافية من الأفراد لمواجهة الدولة علانيةً ومحاولة إسقاطها[٢٧]. ويتم توظيف الأساليب الأيديولوجية والنفسية والمعلوماتية من أجل جمْع المجندين. على الرغم من أنه من المفضل أن تصبح أفكار الحركة هي التيار السائد، إلا أنه ليس من اللازم أن يحدث هذا الأمر، وليس من الضروري أن تصل الثورات الملونة إلى غالبية السكان في الدولة أو العاصمة لتحقّق النجاح، كل ما يتعين عليهم القيام به هو استدعاء عددٍ كبير من الناس لبناء علاقات عامة فيما بينهم لتشكيل تحدٍ أمنيٍ للحكومة المدافعة. ويختلف عدد الأفراد اللازمين لإنجاح ثورةٍ ملونة بحسب طبيعة كل بلد، وخصائص القيادة فيه، وقوة الحكومة وجهازها الأمني. وتتحقّق الهيمنة الاجتماعية بمجرد نشر هذه الكتلة الاجتماعية المحرجة ضد السلطات، وإحداثها التحدي الفوضوي الذي تسعى إليه الحركة. وبالتالي، فإن الثورات الملونة تحاول السيطرة على العوامل الغير ملموسة، المتمثلة في الجوانب المجتمعية والأيديولوجية والنفسية والمعلوماتية.

ثانيا: الهيمنة التامة والحروب الغير تقليدية

إن أهداف استراتيجية الهيمنة التامة في الحروب الغير تقليدية هي أقرب إلى أهداف الحروب التقليدية من أهداف استراتيجية الهيمنة للثورات الملونة. لكن الفرق بينهما هو أن الحروب الغير تقليدية غير نظاميةٍ وغير مباشرةٍ ولا خطيّةٍ أكثر من الحروب

---

[٢٦] يقصد إنغدال الذي تحدث عن مفهوم الهيمنة التامة

[٢٧] تعتمد أمريكيا في إحدى مذاهبها العسكرية الجديدة قاعدة استراتيجية تسمى "حرب إفشال الدولة الخصم"، والقصد هو وضع الدولة الخصم في مواجهة مباشرة مع شعبها، وهذا الأسلوب يضمن وقوع الضرر بالخصم في كلتا الحالتين، سواء في الحالة التي ينتصر فيها الشعب أو في الحالة التي تنتصر فيها السلطة الحاكمة.

التقليدية، وبالتالي فإن لها حدوداً معينة فيما يمكن السيطرة عليه وما لا يمكن. لذلك فمن المناسب أن نذكر أن أهداف الحروب الغير تقليدية فيما يتعلق بالهيمنة التامة هي الحصول على أكبر قدرٍ ممكن من الهيمنة المادية داخل الحلقات الخمس الأصلية للدولة المُستهدَفة، دون الحاجة إلى تدخلٍ مباشر من دولة خارجية أو التحول إلى حرب تقليدية. بهذه الطريقة تطمح الحرب الغير تقليدية إلى الهيمنة على الجوانب الملموسة لميدان المعركة، ولكن ليست بنفس الطريقة التي تستخدمها الحروب التقليدية.

هذا لا يعني أن الحروب الغير تقليدية أقل شأناً من الحروب التقليدية في عالم الهيمنة التامة. في الواقع إنه على العكس تماماً، فأسلوب الحرب الغير تقليدية يحمل بعض المزايا الاستراتيجية الهامة جداً التي يتفوق بها على الحروب التقليدية. على سبيل المثال، في الحرب الغير تقليدية لا يمكن للقوى التقليدية للدولة المستهدَفة أن تكون متأكدة تماماً من مدى قدرتها على السيطرة على مختلف الأراضي أو البنية التحتية وعلى حمايتها من الهجمات، وبالتالي، فهذا ما سيعزز الضبابية بشأن متى يجب أن تنشر وحداتها وأين. وهو بدوره ما سيأثر على الجزء المتعلق باتخاذ القرار في حلقة OODA، مما سيعيق التصرف الحاسم ويعرقل فعاليته.

ثالثا: هيمنة الديناميات الفوضوية

في القسمين المذكورين أعلاه رأينا كيف تحتل الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية دوراً محدداً في استراتيجية الهيمنة التامة بشكلٍ عام. في الواقع، إنهما تخدمان أغراضاً مكملة لبعضهما البعض، حيث تسعى الثورات الملونة إلى الهيمنة غير الملموسة وتستخدم الحروب الغير تقليدية للوصول إلى السيطرة الملموسة. وكلا الاستراتيجيتان نتاجٌ مباشر لحروب الجيل الرابع، وبالتالي فإنهما يحويان بذور الفوضى في داخلهما. ولقد سبق أن أوضحنا أن الفوضى البنّاءة / الخلّاقة / المدارة هي إحدى الأدوات التي يمكن استخدامها تجاه بعض الدول لدفعها عن أهدافها السياسية الخارجية أو الاستراتيجيات الكبرى (مثل البلقان الأوروآسي)، لذلك فمن

المناسب أن ترغب الولايات المتحدة في تحقيق السيطرة الملموسة على الأرض بنفس الطريقة التي تسيطر فيها على الفضاء والاتصالات...إلخ.

هذا يجر فكرة أخرى، وهي أن الحرب الهجينة –مزيج من الثورات الملونة والحرب الغير تقليدية– تتلاءم مع منظور الهيمنة التامة من خلال كونها مهيمنة على الديناميات الفوضوية. فهؤلاء الذين يقفون وراء الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية يسيطرون على زمام المبادرة في هجومهم الانقلابي، وبالتالي فإنهم يضعون الدولة المستهدفة في وضعٍ دفاعي. إن الفوضى التي تأتي مع الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية تنتشر في جميع أجزاء "نظام" العدو (كما يرى واردن الخصم)، تماما كما يفعل "فيروس" جهاز الكمبيوتر وفقاً لمنطق مان، وذلك لكي يحصل التخريب الكامل في نهاية المطاف، وتصبح الحاجة ماسّةً لإزالة التهديد عبر بدء "إعادة تشغيل النظام" (تغيير النظام). وتضيف الحروب الغير تقليدية عنصراً من الخوف المستمر إلى المعادلة، والذي يعمل كمضاعفٍ للقوة ويؤدي إلى تفاقم الأثر الفوضوي المصاحب لعملية زعزعة الاستقرار وتغيير النظام.

رابعا: ملخص الهيمنة التامة

كجزءٍ من الاستراتيجية الرسمية للبنتاغون، يعمل الجيش الأمريكي من أجل السيطرة على كل جوانب القدرات القتالية في العالم. وتقدم الحرب الهجينة في هذا السياق نفسها كحزمةٍ هجينة فريدة من الهيمنة الملموسة وغير الملموسة على متغيرات ساحة المعركة، والتي تتجلى في حد ذاتها بطريقة غير مباشرة إلى حدٍ كبير. وبالمجمل ومن المفارقات، فإنها عبارةٌ عن "فوضى مُنظمةٌ" (إلى حد أنه يمكن تسميتها بذلك) يتم تسليحها لتحقيق غاياتٍ سياسية خارجية محددة. وهذا يجعل منها استراتيجيةً وسلاحاً في آنٍ واحد، مما يضاعف من فعاليتها في القتال بالوكالة وبنفس القدر يزعزع من استقرار أهدافها.

الفصل الرابع: خلاصة الباب

كما هو موضح من خلال التسلسل المنطقي للفكر الجيوسياسي، يمكن لبعض المحددات تقريب الميدان الواسع الذي يمكن شن الحروب الهجينة فيه. إن أهم نظرية جيوسياسية تؤثر على الحروب الهجينة هي فكرة بريجنسكي حول البلقان الأوراسية. وبما أن كلا المفهومين (الحرب الهجينة والبلقان الأوراسية) يستخدمان الفوضى الموجهة، فهما متكاملان. لذلك إذا كانت البلقان الأوراسية هي الهدف بالسيطرة التامة، فإن الحرب الهجينة هي الاستراتيجية لتحقيقها.

وتوفر النظريات العسكرية تأكيداً لفعالية أساليب الحرب الغير مباشرة في الحرب الهجينة. كما تظهر أنها مشتقة تماما من نظرية الفوضى، ويمكن أن تكون أول تطبيقاتها المُنمّطة. ويمثل نموذج "قُدّ من بعيد" الهيكل الجديد الذي تستخدمه الولايات المتحدة لشن الحروب الهجينة وزعزعة الاستقرار في المحيط الأوراسي المتقلب من خلال صراعات الوكلاء. وأخيراً فإن فكرة الهيمنة التامة هي الهدف النهائي للتخطيط والاستراتيجية العسكرية الأمريكية.

إن الحرب الهجينة هي الجزء الغير متكافئ الفريد من الهيمنة التامة، والذي يمكن تلخيصه بشكلٍ أفضل كعملية تسّلح ومحاولة إدارة الفوضى. إنها مستوى جديد من الحروب تتجاوز كل أنواع الحروب الأخرى وتدمجها في كيانها متعدد الأوجه.

الباب الثاني: تطبيق الثورات الملوّنة

الفصل الأول: مقدمّة في النظريّة والاستراتيجية

يعالج هذا القسم المنظورَ الذي ينبغي من خلاله رؤية الثورات الملونة، ويضع الإطارَ النظري والاستراتيجي الذي يدعم هذه الظاهرة. غير أنه لا يتحدث عن دور المنظمات الغير حكومية والتمويل الدولي في تحقيقه –خلافا للبحوث الأخرى التي تم تأليفها حول هذا الموضوع–. فإذا كان القارئ مهتماً بالهيكل التنظيمي للثورات الملونة، نوصيه بقراءة الملحق الأخير في هذه الدراسة التي ألفها الكاتب خصوصاً حول هذه المواضيع.

بدلاً من ذلك، يركز محور هذا البحث على كيفية انتشار الأفكار وراء الثورات الملونة وتجنيد المشاركين. ففي هذا المجال، يُقال إن هناك تركيزاً كبيراً على العمليات النفسية[٢٨] في الوصول إلى الديموغرافيات (الفئات السكانيّة) المُستهدَفة والمُحدّدة، وأن حرب الشبكات[٢٩] هي الطريقة الأكثر فعالية في نشر رسائل هذه العمليات. بعض التطبيقات التي سنشرحها في هذا القسم متأثرةٌ جزئياً بمقال "حرب التجنيد" الذي كتبه المحلل الجيوسياسي ليونيد سافن، والتي قدّم فيها وجهة نظره حول كيفية دمجها (الحرب النفسية وحرب الشبكات) في النظم الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك فإن ظهور وسائل التواصل الاجتماعي يوفر فرصة فريدة لاختراق عقول العديد من المشاركين المستقبليين غير الواعين، وسنثبت كيف أن البنتاغون يبحث بنشاط عن طرق للاستفادة القصوى من هذه الأداة.

---

[٢٨] العمليات النفسية: هي عمليات لنقل المعلومات والمؤشرات المختارة نحو الجمهور للتأثير على عواطفه ودوافعه وتفكيره الموضوعي، وفي نهاية المطاف فإن ذلك سيؤثر على سلوك الحكومات والمنظمات والمجموعات والأفراد.

[٢٩] حرب الشبكات NET WAR هو مذهب عسكري جديد فعلياً، يعتمد فيه المهاجم على صناعة شبكات بشرية من خلال شبكات التواصل الاجتماعية، بحيث يملك سلطة التأثير فيها ويستخدمها لتوجيه ضربات ضد خصمه داخل دولته وفي محيطها الإقليمي.

أولا: "الدعاية" (Propaganda) و "هندسة الموافقة " (Engineering of consent)

العمود الفقري الأساسي لبدء الثورة الملونة وتوسعتها؛ هو نشر المعلومات ضمن أوساط السكان، سواء كانت ذلك مركزا على فئة ديموغرافية محدّدة أو على المجتمع ككل، ونظراً لاعتمادها على نشر رسالة معينة – وهي في حالة الثورات الملونة تشجيع الأفراد على الإطاحة بالحكومة – فمن الضروري للغاية مناقشة الكتاب المشهور "الدعاية" لإدوارد بيرنيز ١٩٢٨. نتيجة لهذا الكتاب، عندما نعت صحيفة نيويورك تايمز المؤلفَ وصفته بأنه "أبُ العلاقات العامة" و "الرائد في صناعة الرأي". العلاقات العامة[٣٠] هي إلى حدٍ كبير تعدّ نتيجة لتوليف مبادئ التسويق مع التواصل الواسع النطاق مع السكان، وكلاهما يظهران بشكلٍ بارز في توصيل رسائل الثورة الملونة، وبالتالي فإن ذلك يعني أن "الدعاية" كانت لها تأثيرٌ هام على الثورات الملونة. على الرغم من أنه يمكن تخصيص كتابٍ كامل للصلة بين بيرنيز والثورات الملونة، إلا أنه لضيق المجال سيركز القسم الحالي على بعض المفاهيم الرئيسية ذات الصلة فقط، ولن يركز على تكتيكاتٍ محددة.

يعتقد بيرنيز أن عدداً صغيراً من الأفراد غير المرئيين يؤثرون على تفكير الجماهير ويوجهونه، وأن هذه هي الطريقة الوحيدة للحفاظ على ما يشبه النظام، بينما كل ما هو خلاف لذلك فهو مجتمعٍ فوضوي. من أهم ما كتبه ما يلي:

"كشفت الدراسة المنهجية لعلم النفس الجماهيري للطلاب عن قدرة حكومة المجتمع المخفيّة على التلاعب في الدوافع التي تحفز الإنسان ضمن المجموعة... (والتي) لها خصائص ذهنية متميزة عن تلك الخاصة بالفرد، وتحفزها المؤثرات والعواطف التي لا يمكن تفسيرها على أساس ما نعرفه من علم النفس الفردي. إذن فالسؤال

---

[٣٠] وفقا للقاء أجرته قناة بي بي سي مع ابنة بيرنيز فإن مصطلح العلاقات العامّة الذي وضعه والدها هو مصطلح بديل لمصطلح البروبوغندا (الدعاية)، وقد وضعه بيرنيز في فترة الحرب العالمية الأولى لما كان للمصطلح الأخير من تأثير سيء لاستخدام الألمان له في فترة الحرب العالمية الأولى.

المطروح بشكل طبيعي: إذا كنا نفهم آلية ودوافع العقل الجمعي،[٣١] فهل من غير الممكن السيطرة على الجماهير وتنظيمهم وفقاً لإرادتنا دون علمهم بذلك؟[٣٢]

هذا هو أساس الثورات الملونة، حيث تتم دراسة علم النفس الجمعي العام منها والخاص (في سياق الحضارة / الثقافة المُستهدَفة)، من أجل تحقيق استغلالٍ أفضل لطرق نشر الرسائل المناهضة للحكومة. من المهم هنا استحضار نموذج الحلقات الخمس للمجتمع والفرد من الفصل الأول، حيث يساعد ذلك في وضع تصورٍ مفصّل للاستراتيجية الإعلامية الواسعة لمديري العلاقات العامة (الدعاية) لحركات الثورات الملونة.

كما يكتب بيرنيز أنه نظراً للتطورات في تقنيات الاتصال الفوري (التي أصبحت أكثر وضوحاً اليوم مع منصات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر)[٣٣]، "قد يتم ضم الأشخاص الذين لديهم نفس الأفكار والاهتمامات والمصالح وتنظيمهم للقيام بعملٍ مشتركٍ حتى لو كانوا متباعدين آلاف الأميال عن بعضهم البعض. ليس هذا

[٣١] العقل الجمعي (أو ما يعرف بالأثر الاجتماعي المعلوماتي أيضاً) ظاهرة نفسية تفترض فيها الجماهير أن تصرفات الجماعة في حالة معينة تعكس سلوكاً صحيحاً. ويتجلى تأثير العقل الجمعي في الحالات التي تسبب غموضاً اجتماعياً، وتفقد الجماهير قدرتها على تحديد السلوك المناسب، وبدافع افتراض أن الآخرين يعرفون أكثر منهم عن تلك الحالة. خلاصة العقل الجمعي انها الآراء والمواقف التي يكتسبها الفرد من الجماعة ويتصرف انطلاقا منها، ويكون بحالة الوعي عند اكتسابها على عكس عقلية القطيع التي سنشرحها في السطور التالية.

سطوة أثر الجماعة على الفرد تظهر في قابلية الأفراد إلى الانصياع إلى قرارات معينة بغض النظر عن صوابها من خطئها في ظاهرة تسمى بسلوك القطيع. على الرغم من أن ظاهرة العقل الجمعي قد تعكس دافعاً منطقياً بالنسبة للبعض، إلا أن التحليل يظهر أن سلوك القطيع قد يدفع الجماعة إلى الانحياز سريعاً إلى أحد الآراء بدون أي وعي، ولذلك قد تنحصر آراء الجماعات الكبيرة في دائرة ضيقة من المعلومات.

[٣٢] علم نفس الجماهير: هو أحد فروع علم النفس الاجتماعي الذي يهتم بدراسة الحالة النفسية التي تحرك الأفراد وتتحكم في سلوكهم أثناء تواجدهم ضمن الحشود، ولا يفهم من كلمة الحشود هنا الأشخاص المجتمعين في ساحة أو ما يشابه ذلك، بل المقصود هو تجمع الأفراد في مكان ما في العالم الحقيقي أو الافتراضي، وهذا التفصيل في تعريف الحشد جاء بعد دراسة ثورات الربيع العربي، إذ أثبتت الدراسات العلمية أن الأفراد العاديين يتصرفون عادة بطريقة لا تعبر عن حقيقتهم، كأن يصبحوا عدوانيين ويلجؤون للعنف غير المبرر نتيجة اكتسابهم شعورا بالقوة الإضافية وهم ضمن الحشد. كما أن الشعور بالذنب ومحاسبة الذات تتضاءل إلى درجة الصفر أثناء قيام الأفراد بالتخريب أو حتى القتل خلال مشاركاتهم في المظاهرات والثورات، ومرد ذلك إلى حالة الفوضى التي تصاحب المظاهرات أو الثورات الشعبية، والتي يصبح فيها من الصعب إن لم يكن من المستحيل تحديد المسؤولية الجنائية عن حوادث القتل والتخريب.

[٣٣] ينبه المؤلف على ظهور هذه المنصات التي لم يدركها بيرنيز في زمانه، حيث توفي في عام ١٩٩٥.

فحسب، ولكنه أضاف أن "هذا الهيكل المتشابك غير المرئي للمجموعات والجمعيات هو الآلية التي قامت بها الديمقراطية بتنظيم عقلها الجماعي وتبسيط فكر حشودها". ومرة أخرى هذا هو بالضبط الحال مع الثورات الملونة. فهم يجمعون أجزاء مختلفة من السكان افتراضياً ومادياً، الذين يتشاركون (أو تمت هندستهم للمشاركة) نفس الأفكار المناهضة للحكومة، ويساعد هذا في تنظيم (العقل الجمعي أو عقلية القطيع، كما ستتم مناقشته لاحقاً في هذا الفصل). وتبسيط التفكير الجمعي للمجتمع خلال بداية محاولة الانقلاب المتمثلة بالثورة الملونة.

إن الطريقة الأساسية التي يدعو لها بيرنيز لزرع الأفكار الخارجية في عقول الجماهير هي المقاربة الغير مباشرة (أي التطبيق الاجتماعي لنظرية ليدل هارت)، والذي يجسّده في كتابه الذي صدر عام ١٩٤٧ "هندسة الموافقة"، حيث يوجه اهتمام "مهندسي الموافقة" لبدء البحث المضني عن أهدافهم قبل فترة طويلة من انطلاق حملتهم المعلوماتية متعددة الجوانب، لأن ذلك سيتيح لهم فهما أفضل لنهج جمهورهم. يجب أن تُصاغ الأخبار بشكلٍ صناعيّ لجعل الحملة التسويقية أكثر فعالية، ويجب أن تكون الأحداث[٣٤] المُتضمّنة "لا خطية" (أي إبداعية، أو ابتكارية). فيما يتعلق بالثورات الملونة، فإن هذا يفسر التباين في الأعمال الدعائية الترويجية المستخدمة في كل حالةٍ مستهدفةٍ.

إنه ينهي مقالته على ملاحظة متعلقة للغاية بكل الثورات الملونة:

"الكلمات والأصوات والصور تنجز القليل ما لم تكن أدواتً لخطةٍ مدروسةٍ بشكلٍ جيد وأساليبٍ مُنظمةٍ بعناية. إذا تم صياغة الخطط بشكلٍ جيد وإذا تم استخدامها بشكل صحيح، فستصبح الأفكار التي تنقلها الكلمات جزءاً لا يتجزأ من الناس أنفسهم. عندما يقتنع الجمهور بسلامة فكرة ما، فإنهم سيشرعون في الأعمال...(التي) تقترحها

[٣٤] يقصد المؤلف هنا بالحدث الأحداث الثورية الشعبية، مثل التجمع في الساحات أو الحدائق العامة للمطالبة بإصلاحات أو بإسقاط الحكومة، كما حدث في ساحة التحرير في القاهرة، والميدان الأوروبي في كييف عاصمة أوكرانيا.

الفكرة نفسها، سواء كانت أيديولوجية أو سياسية أو اجتماعية... لكن هذه النتائج لا تحدث مصادفةً... يمكن تحقيقها بشكل أساسي عن طريق هندسة الموافقة. "

وبالتالي يمكن إثبات أن الثورات الملونة، مثل حملات التسويق أو العلاقات العامة، فهي ليست عفويةً، بل يتم تصنيعها بشكلٍ جيد قبل نشرها. إن التوعية المعلوماتية (الدعاية) هي في جوهرها الأفكار المناهضة للحكومة التي يجب نشرها بطريقة منسقة من أجل إقناع عدد مناسب من السكان على المشاركة في الثورة الملونة. قد لا يكون هؤلاء الأفراد مدركين لدورهم الأكبر في الأحداث التي تتكشف مع الوقت، لكنهم سيستخدمون فقط لخلْق مظهر الدعم الواسع للانقلاب. ويمكنهم أيضًا أن يكونوا بمثابة "دروع بشرية" في حماية الأعضاء الأساسيين للثورة الملونة – مثل المُنظّمين أنفسهم أو متمردي القطاع الأيمن – من أساليب الدولة العنيفة في تفتيت محاولة الانقلاب.

الهدف الرئيسي للحملة المعلوماتية هو جعل المُستهدَفين يستوعبون الأفكار المطروحة، مع جعل الأمر يبدو وكأنهم وصلوا إلى الاستنتاجات –الموجهة من الخارج– بشكلٍ عفوي من تلقاء أنفسهم. يجب أن تبدو الأفكار المناهضة للحكومة طبيعيةً وليست قسريةً (مُتكلفةً)، مما يتوجب زيادة التركيز على المقاربة غير المباشر في إيصالها. إذا اعتقد الأفراد أنه يتم التلاعب بهم من قبل قوى غير مرئية، فإنهم سيرفضون الرسالة إلى حدٍ كبير. مع ذلك، إذا كانت هذه الرسالة يمكن أن يتم استيعابها من قبل شخص ما، ويبدأ في نشرها بين أصدقائه الموثوقين الذين لن يفكروا أبداً حتى في أن هذا الشخص خاضع لتأثير عملياتٍ نفسيةٍ خارجيةٍ دون أن يعلم، فعندئذ يدخل "فيروس" مان إلى المجتمع. ويبدأ بنشر أفكار الثورة الملونة من تلقاء نفسه. سوف نتحدث في الأقسام التالية عن هذا بشكل أكثر عمقاً عن طريق استخدام مبادئ الحروب الشبكية.

ثانيا: الحروب القشرية العكسية [المقلوبة] الجديدة

قبل الانتقال إلى نظريات حرب الشبكات، من الضروري التحدث عن فكرة ريتشارد سزافرانسكي حول الحرب القشرية الجديدة، التي تعمل كجسر بين تعاليم بيرنز والنظرية القادمة. يصفها المؤلف (سزافرانسكي) على النحو التالي:

"الحرب القشرية الجديدة هي الحروب التي تسعى إلى السيطرة على سلوك أفراد العدو أو تشكيله، ولكن دون تدميرهم. إنها تفعل ذلك بالتأثير على نقطة ضبط قيادة العدو ووعيه وإدراكه وإرادته؛ المتمثلة بنظام القشرة المخية[35] الجديدة للعدو. وباستخدام طرقٍ بسيطة تحاول الحرب القشرية الجديدة اختراق الحلقات [الذهنية] المتكررة والمتزامنة للخصوم من "الملاحظة والتوجيه واتخاذ القرار والتصرف"[36]. وباستخدام طرقٍ معقدةٍ تسعى جاهدةً لتقدم لقادة العدو –لعقلهم الجمعي– التصورات والبيانات الحسيّة والمعرفيّة المُصمّمة على أن تؤدي إلى مجموعةٍ ضيقةٍ ومسيطرٍ عليها –أو كبيرةٍ للغاية ومربكةٍ– من الحسابات والتقييمات. وسينتج من هذه التقييمات والحسابات أن يختار العدو ما يتوافق مع خياراتنا المطلوبة والنتائج التي نرغب بها. فالتأثير على القادة بألا يقاتلوا أمرٌ بالغ الأهمية."

تتمثل فكرة سزافرانسكي في استخدام أساليب التوعية المعلوماتية لتغيير "العقل الجمعي" لقيادة العدو (أي هدف قيادة العدو) بشكلٍ غير مباشر، وتثبيطهم عن القتال (أي تغيير سلوكهم القتالي). لذلك فإن عكسنا هذه الحرب القشرية الجديدة وربطناها بالثورات الملونة فإن الهدف منها سيصبح "العقل الجمعي" لحشود الشعب لا القيادة، وستسعى إلى التأثير بشكلٍ غير مباشر بغرض إثارة الشعب وتحريضه على الانتقال من الوضع السلبي إلى المشاركة في عملية الإطاحة بالحكومة.

[35] الطبقة القشرية هي القشرة المخية والطبقة الخارجية من نصف كرة المخ، وهذه الطبقة تميز الإنسان عن باقي الحيوانات، وهي أعقد جزء في المخ، مسؤولة عن معظم وظائف الدماغ والتنسيق بينها، ولعل المنظرين يقصدون بها التعبير الجزء المتعلق بصناعة الوعي.

[36] يقصد بها المؤلف حلقة OODA لاتخاذ القرار

ويضيف سزافرانسكي أن أفضل طريقةٍ للقيام بذلك هي دراسة قيم المُستهدَف وثقافته ومنظوره الكوني، ثم الاقتراب منه عبر البرمجة اللغوية العصبية. وذلك لأن "الحرب القشرية الجديدة تستخدم اللغة والصور والمعلومات لاقتحام العقل وتغيير الإرادة. تُوجّه هذه الحرب ضدّ نقاط ضعفنا أو تستخدم نقاط قوتنا لإضعافنا بطرق غير متوقعةٍ ومبتكرة." وهذا يدل على أن هذا الهجوم لا خطي بطبيعته، ولديه عناصر من الفوضى المبنية داخله، مما يؤكد النظرية القائلة بأن الحرب الهجينة هي نسخةٌ مسلّحةٌ من نظرية الفوضى، وأن حرب القشرية الجديدة نسخةٌ مسلّحة من تعاليم بيرنيز. بالإضافة إلى ذلك عندما يتعلق الأمر بالبرمجة العصبية اللغوية واستهداف الفرد، فإن واحدةً من أكثر الطرق المعاصرة فعالية في هذا الأمر هو استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ونظريات الشبكات والحروب القائمة على الشبكات.

ثالثا: الحروب القائمة على شبكات التواصل الاجتماعية

عام ١٩٩٨ نشر اللواء البحري آرثر سيبروفسكي وجون غارستكا مقالتهما المشتركة حول "الحروب القائمة على الشبكات: أصولها ومستقبلها". على الرغم من أن هذا المقال يتعامل بشكلٍ أكبر مع الجوانب التقنية لأجهزة اتصالات المعركة واستراتيجيات استخدامها، فإن موضوع الحروب القائمة على الشبكات يرتبط ارتباطاً وثيقاً جداً بالثورات الملونة عند تكييفها مع الشكل الاجتماعي. على سبيل المثال، وضع ليونيد سافين مقارنات بنيوية بين الربيع العربي، والتطبيق الاجتماعي للحروب القائمة على الشبكات، ونظرية الفوضى.

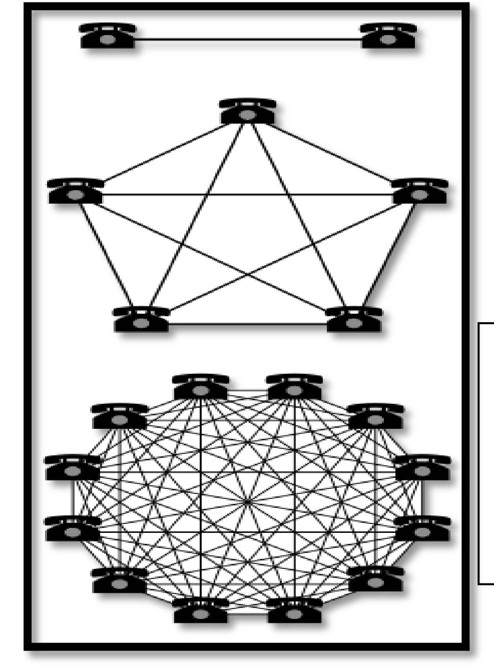
بالعودة إلى المقالة السابقة[٣٧]، يشير المؤلفان إلى قانون ميتاكالف بالقول إن "قوة الشبكة تتناسب مع عدد مربعات العقد في الشبكة. وتأتي "القوة" أو "النجاعة"

---

[٣٧] من الضروري أن نوضّح بعض المصطلحات القَنية في هذه الفقرة قبل قراءتها.

إذا كانت الشبكة Network نظاما معتمدا يربط مجموعة من العقد Node، فالعقد هي كل جهاز مزودٍ بالكهرباء، يقوم بتلقي المعلومات أو إرسالها أو تحويلها من قبل المستخدم، مثل الهاتف والمحمول والحاسوب وغيرها من الأجهزة، ومن باب تعريف الشيء بضده فإن الأجهزة التي تقوم بالوظائف السابقة من دون مُستخدِمٍ لا تُعد من العقد كلوحة توزيع للألياف البصرية ولوحة ربط الوصلات.

للحوسبة القائمة على الشبكة من التفاعلات المعلوماتية الكثيفة بين الأعداد الكبيرة جداً من العقد الحاسوبية غير المتجانسة في الشبكة. كما يكتبون أيضًا أنه "على المستوى الهيكلي، تتطلب الحرب القائمة على الشبكات بنية عملياتية تشتمل على ثلاثة عناصر حاسمة: شبكات أجهزة الاستشعار وشبكات الأسلحة (أو الاشتباك) التي تضيّفهما [تُوصِل بينهما] شبكة عقد معزّزة بالمعلومات عالية الجودة".



مخطط مع مثال يوضح قانون متكالف: إذا كان بحوزتنا جهازي هاتف فمن الممكن انشاء اتصال واحد ووحيد بينهما. اما إذا كان بحوزتنا ٥ اجهزة فممكن انشاء ١٠ اتصالات؛ ومن ١٢جهاز يمكننا انشاء ٦٦ اتصال.

نموذج على قانون ميتاكالف الذي يوضح دور المعلومات المتناقلة عبر الشبكات في الحرب الهجينة

وبالنسبة لقانون ميتاكالف Metcalfe سنورد اقتباسا عنه من الموسوعة الحرة بشيء من التفصيل،

ينص قانون ميتاكالف على أن نجاعة أي شبكة اّتصال تتناسب مع مُرّبع حجمها، ولفهم هذا النص يجب أن نتوقف عند التوضيح الآتي:

إذا كان حجم شبكة اتصال هو س (حجم شبكة اتصال يعني عدد العقد أي الأجهزة المتصلة في الشبكة)، فإن عدد الخطوط التي تصل بين كل عقدتين هو س* (س-١) مقسومٌ ناتجها على ٢، وعدد الاتصالات الكلية سيصل إلى س*(س-١) وناتج هذه المعادلة يُمثل نجاعة أو قوة هذه الشبكة.

بعد أن انتهينا من القانون نذكر أن العقد غير المتجانسة يُقصَد بها العقد التي تستخدم بروتوكولات مختلفة (نظام من قواعد تبادل البيانات بين العقد).

بقي أخيرا أن نوضح أن الهيكلية العملياتية للحروب القائمة على الشبكات في الجيوش الحديثة مؤلفة من ٣ مستويات من شبكات العقد، مستوى الشبكة القتالية grid shooter (engagement or transaction) تتألف من مختلف منظومات الأسلحة، ومستوى شبكة أجهزة الاستشعار sensor grid وتتألف من مختلف منظومات الرصد والمراقبة الفضائية والجوية من أقمار صناعية وطائرات استطلاع ومراصد، والمستوى الثالث هو شبكة المعلومات لتحقيق القيادة والسيطرة Information C2 gird، تتألف من شبكات حاسوبية مُعزّزة بمعلومات عالية الجودة للتنسيق بين المستشعرات والأسلحة.

من خلال تكييفها لشبكات التواصل الاجتماعي من صنع البشر، تصبح العقد أشخاصاً مشاركين في الثورة الملونة، وتزداد "قوة" مجموعهم في تنفيذ محاولة الانقلاب عندما يتفاعلون، أولاً عبر الشبكات الاجتماعية، ثم عبر اللقاء الشخصي بعد بدء الثورة الملونة. أما بالنسبة لشبكات الاستشعار، فإنها تصبح نقطة الاتصال الأولية التي يتم تزويد الفرد من خلالها بالمعلومات المناهضة للحكومة.

يمكن أن يكون الاتصال افتراضياً من خلال أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة، أو مادياً من خلال التفاعل المباشر مع منظمة غير حكومية. بينما شبكة الاشتباك أو القتال تصبح حدثاً مُحفّزاً للعمل، وفي هذه المقارنة تصبح شبكات التواصل الاجتماعي هي التي تنظم المشاركين في الثورة الملونة وتُروّج للقيام بالأعمال. وأخيراً فإن شبكة العقد المُعزّزة بالمعلومات عالية الجودة التي تدعم كل الأجهزة هي حملة المعلومات الخارجية التي تأثرت بتعاليم بيرنيز والتي أصبحت أكثر فاعلية من خلال مقاربة الحرب القشرية الجديدة لسزافرانسكي.

رابعا: حرب الشبكات الاجتماعية

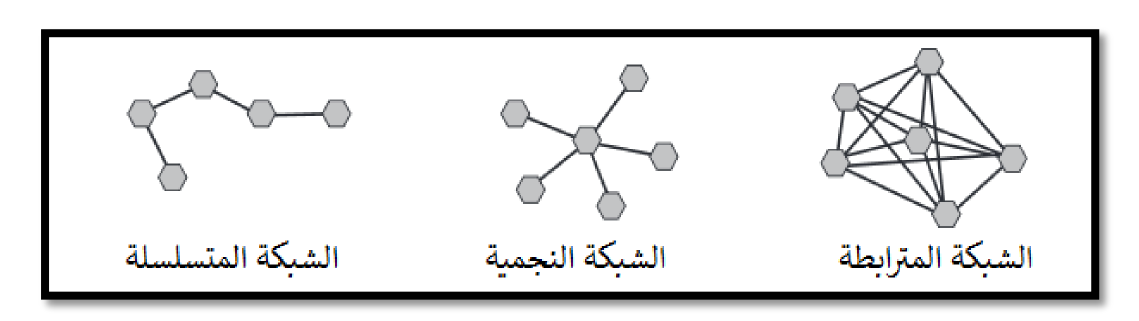
نشر جون أركيلا (John Arquilla) وديفيد رونفيلدت (David Ronfeldt) من مؤسسة راند كتاباً عام ١٩٩٦ بعنوان اختراع حرب الشبكات The Advent of Netwar. وافترضا في الكتاب بأن نوعاً جديداً من الصراع المجتمعي في ازدياد، حيث ستستفيد شبكات الجهات الفاعلة غير الحكومية "التي بلا قيادة" في المقام الأول من ثورة المعلومات (أي الإنترنت) لشن صراعٍ غير منظمٍ منخفض الشدة ضد المؤسسة الحاكمة. وقد لخصا كتابهما في الفصل الأول من كتاب "الشبكات وشبكات الحرب" (Networks and Netwars) عام ٢٠٠١، وقالا بأن المصطلح نفسه:

"يشير إلى نمطٍ جديدٍ من الصراع (ومن الجرائم) على المستويات المجتمعية، دون الحروب العسكرية التقليدية، حيث يستخدم المتقاتلون الأنماط الشبكية للتنظيم والعقائد العسكرية والاستراتيجيات والتقنيات المرتبطة بعصر المعلومات. ومن المحتمل أن

يتكون المتقاتلون من منظماتٍ مشتتةٍ ومجموعاتٍ صغيرةٍ وأفرادٍ يتواصلون وينسقون ويديرون حملاتهم عبر الإنترنت، وغالباً ما تكون بدون قيادة مركزية مُحدّدة. "

في إثبات واضح عن تأثير بيرنيز على هذا المفهوم، وصف المؤلفان الحروب الشبكية بأنها تركز على القوة الناعمة، وتحديدًا "عمليات المعلومات"[٣٨] و "إدارة الإدراك". وإظهاراً لمساهمة نظرية الفوضى والمقاربة الغير مباشرة لليدل هارت في هذه الحرب، كتبا بأن هذا الشكل من أشكال الحرب يقع في "أقل الأنواع عسكرةً، وشدةً، مع نتيجةٍ اجتماعية" لأنه "أكثر انتشاراً وتشتيتاً وأبعاداً متعددةً لا خطيّة وغامضةً".

وقد حددا ثلاثة أنواع من تشكيلات الشبكات:



تمتلك الشبكة المتسلسلة قيادةً مركزيةً، بينما النسخة النجمية هي نتاج تقسيم، فقد تُشكِّل خليةً ضمن شبكةٍ أكبر، في حين تمثل الشبكة المترابطة نموذج "اللامركزية التكتيكية"، وهذه تظهر عندما لا يضطر الأعضاء إلى اللجوء إلى التسلسل الهرمي، لأنهم يعرفون ما يجب عليهم فعله، وهذا يجعل الوحدات الفردية بعقليةٍ واحدة، وتُمثّل هذه الشبكة تحدياً من الصعوبة بمكان مواجهتها بسبب" عدم وضوح" الفارق بين النشاطات الهجومية والدفاعية.

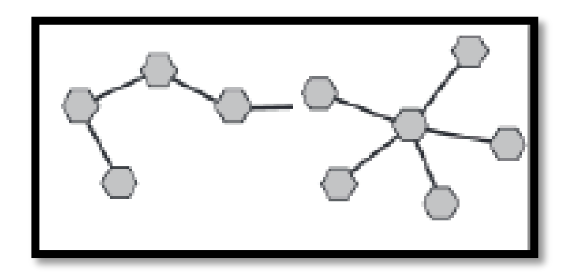
ويكتب المؤلفان عن الكيفية التي "تميل" من خلالها "شبكة الحروب" إلى تحدّي وتجاوز الحدود المعيارية، والسلطة القضائية، والفوارق بين الدولة والمجتمع،

---

[٣٨] عمليات المعلومات information operations وتُعرف كذلك بعمليات التأثير، هي عمليات تتضمن جمع معلومات تكتيكية عن الخصم ونشر البروبوغندا سعيا لتحقيق الأفضلية عليه ثم السيطرة. وتشمل الإجراءات المتخذة للتأثير على نظم المعلومات والمعلومات الخاصة بالخصوم، كما تشمل الشائعات التي تُنشر عمداً على نطاق واسع للتأثير على الآراء.

والقطاعين العام والخاص، والحرب والسلام، والحرب والجريمة، والمدنيين والعسكريين، والشرطة والجيش، والقانوني والغير قانوني. ينسبون هذا إلى حد ما لحرب سزافرانسكي القشرية الجديدة التي تمت مناقشتها أعلاه، مدركين أن هذه الحرب الشبكية "تربك المعتقدات الأساسية للناس حول طبيعة ثقافتهم، ومجتمعهم، وحكومتهم لغرضٍ جزئي يتمثل في إثارة مخاوفهم، ولكن ربما كذلك لغرضٍ رئيسي، يتمثل في تشويش الناس وبلبلة تصوراتهم"، مما سيعطي "محتوىً اجتماعياً قوياً".

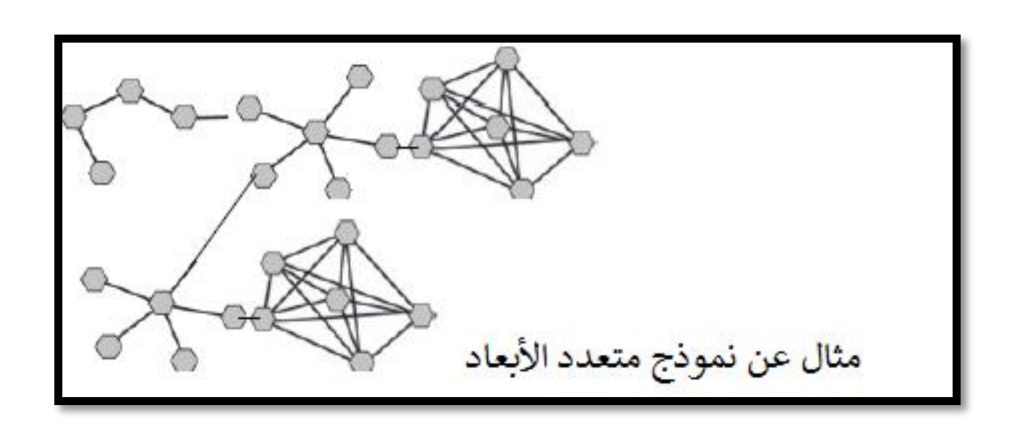
تقرأ الحرب الهجينة حرب شبكات التواصل الاجتماعي بنفس فهم أركيلا ورونفيلدت، ولكنها تقترح مزيجاً من الأنواع الثلاثة لتشكيلات الشبكات في الثورات الملونة. يمثل نموذج الشبكة المتسلسلة الجزء الأول من شبكة حركة الثورة الملونة، حيث تبدأ في الخارج بقرار الإطاحة بحكومة غير مُطاوِعة ذات موقعٍ استراتيجي، وهذه أول خطوة. بعد ذلك، يصدر القرار إلى أسفل التسلسل الهرمي الإداري حتى يصل إلى مفصل التخطيط. في هذه المرحلة، تبدأ الشبكة النجمية. على سبيل المثال بعد الوصول القرار إليها، تبدأ مختلف المنظمات (وكالة الاستخبارات المركزية CIA، البنتاغون) جلسات العصف الذهني لبحث أساليب تنفيذ الأوامر، ثم يأسسون فرعاً لإنشاء "العقد النشطة" أو للاتصال بها لمساعدتها في تنفيذ الأوامر. كما يمكنهم من هنا مسك العقد المؤسسية (مراكز التفكير) المستقلة التي كانت قد أنتجت في وقت سابق بحثاً حول آفاق تغيير النظام و / أو المنشورات حول المجريات الاجتماعية والثقافية والحضارية للبلد المستهدف.



من القرار إلى التخطيط يبدأ من اليسار إلى اليمين

خلال مرحلة التخطيط سيقوم المنظّمون الخارجيون بعد ذلك بفحص الشبكات المُترابطة القائمة التي تحدد البيئة الاجتماعية للهدف. وهذا سيسمح لهم بفهم أفضل للتفاعلات التي تحكم المجتمع ومجموعاته المختلفة. وبمجرد أن يشعر المنظمون الخارجيون بالرضا عن المعلومات التي حصلوها، فإنهم سيحاولون اختراق المجتمع المُستهدَف إما من خلال الوسائل المادية (بالعمل الاستخباراتي على الأرض) أو الافتراضية (الإنترنت). بالنسبة للوسيلة الأولى، سيكون هناك عملاء استخبارات فعليين على الأرض هدفهم تجميع حركة الثورة الملونة، بينما بالنسبة للثانية، سيكون هذا الاتصال عبر الإنترنت مع المتعاطفين أو المعارضين (قد يتحول إلى الاتصال المباشر). قد يعرف هؤلاء الأفراد أنهم يتعاملون مع أجهزة الاستخبارات في بلدٍ آخر أو قد يجهلون ذلك، لكن المهم هو أنهم مشاركون بملء إرادتهم، ومنظمون لعملية زعزعة الاستقرار القادمة.

من المحتمل جداً بأنه سيتم استخدام المقاربة الهجينة المادية والافتراضية. هؤلاء الأفراد (عملاء الاستخبارات على الأرض و / أو المتعاطفين / المعارضين بحماس) يعملون بمثابة عُقد الاتصال (Point of contact POC)، بحيث سيتم تكليفهم بإنشاء شبكاتٍ نجميةٍ وشبكاتٍ مترابطةٍ خاصةٍ بهم، عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي في الإنترنت أو عن طريق المنظمات غير الحكومية المتواجدة على الأرض. ومع تجنيد المزيد من قادة التنظيم فمن المرجح أن تُنشِأ عقدَ اتصالٍ جديدة – سواء كانت مُدركةً لذلك أم لا – مع وكالة الاستخبارات الأجنبية. والهدف من ذلك هو زيادة عدد العقد بشكلٍ هائل وفقاً لقانون ميتاكالف، لتحقيق أقصى استخدام لشبكات التواصل الاجتماعي وتأجيج الطاقة والزخم الاجتماعيين لحركة الانقلاب.


مثال عن نموذج متعدد الأبعاد

الشكل هو توضيح لمراحل حرب الشبكات حيث تبدأ من الشبكة المتسلسلة المركزية "على يسار الصورة" ثم تنتقل إلى الشبكة النجمية ثم يقوم أعضاء الشبكة النجمية بتشكيل الشبكة المترابطة

وكما يبدو فإن النموذج أصبح معقّداً للغاية، ولكن مع ذلك كما كتب مان في كتابه نظرية الفوضى والفكر الاستراتيجي: "على الأقل يمكن التنبؤ بالأنماط في أنظمة فوضوية بشكلٍ ضعيف"، والصورة أعلاه مثالٌ على ذلك. وباستخدام المقاربة المفاهيمية يمكن للمرء أن يرى أن الشبكة تأخذ شكل الجزيئات المُشكّلة لخلية بيولوجية، ومثلما تجلب الخلية الحياة إلى الكائن الحي، فإن خلية الشبكة الاجتماعية المتصلة بالكامل تجلب الحياة للثورة الملونة.

كلما طالت مسافة الشبكات المترابطة عن الشبكة النجمة لوكالة الاستخبارات، قل احتمال أن يدرك كلُ فردٍ – أو "جزءٍ من العجلة" إذا جاز التعبير – أصلَ نشوء الحركة، ناهيك عن أن يعلم باستغلال وكالة استخباراتٍ أجنبية له ولجهوده في الثورة الملونة. إذا تم تنظيم كل شيء بشكلٍ جيدٍ بما فيه الكفاية، وكان هناك سلاسة في دخول المدخلات وخروج المخرجات (الأوامر والتغذية الراجعة) التي تعمّ جميع أنحاء الشبكة، فعندئذ ستصبح العُقد النشطة داخل الدولة المُستهدَفة بعقليةٍ واحدة.

التطبيق التكتيكي لهذا في سياق الثورات الملونة هو شيءٌ يُسمى "بأسراب الاجتياح"[٣٩]، وكلا المؤلفين كتب كتاباً عن هذا عام ٢٠٠٠. ومع ذلك سيتم تناول

[٣٩] يقصد به المؤلف حشود الجماهير في مظاهرات، وهو في الأصل تكتيك عسكري يسمى الموجة أو الإغراق يهدف إلى سحق أو تشبيع دفاعات الهدف الرئيسي باستخدام عدد هائل من الوحدات القتالية.

الأسراب بمزيدٍ من التفصيل في وقتٍ لاحقٍ في الفصل، كذلك سنتناول تفسير استراتيجية الحروب الهجينة المُتمثلة بالعقلية الموحدة للهدف (العقل الجمعي).



مظاهرات في مصر

خامسا: دراسة حالة الفيس بوك

توفر منصة التواصل الاجتماعي الفيس بوك ما يمكن أن يكون أفضلَ دراسة حالة للنظريات والاستراتيجيات المذكورة للعمل في بيئةٍ افتراضية. كتب بريت فان نيكيرك Brett Van Niekerk ومانوج ماهراج Manoj Maharaj مقالةً عام ٢٠١٢ للمجلة الدولية للاتصالات بعنوان: صراع وسائل التواصل الاجتماعي والمعلومات. أشارا في المقالة أن الفيس بوك أصبح مرادفاً لمحتويات ويب ٢.٠ التي ينتجها المستخدمون[٤٠]. وقد تم استخدامه لتنظيم احتجاجات واسعة النطاق وتنفيذ عمليات التأثير في جميع أنحاء العالم. وبما أنه يتعامل مع إدارة الإدراك والهندسة الاجتماعية فإنه بالتالي يعتبر أداةً فعالية في العمليات النفسية. بالإضافة إلى ذلك يذكر المؤلفان

[٤٠] ويب ٢.٠ هو مصطلح يشير إلى مجموعة من التقنيات الجديدة والتطبيقات الشبكية التي أدت إلى تغيير سلوك الشبكة العالمية "إنترنت". كلمة "web 2.0" سُمعت لأول مره في دورة نقاش بين شركة أوريلي ميديا الإعلامية المعروفة، ومجموعة ميديا لايف (MediaLive)الدولية لتكنولوجيا المعلومات في مؤتمر تطوير ويب الذي عُقد في سان فرانسيسكو. الكلمة ذكرها نائب رئيس شركة أورلي، دايل دويرتي في محاضرة الدورة للتعبير عن مفهوم جيل جديد للشبكة العالمية. منذ ذلك الحين، أُعتبر كل ما هو جديد وشعبي على الشبكة العالمية جُزءًا من "ويب ٢.٠". ولهذا السبب، فإنه، حتى الآن، لا يوجد تعريف دقيق لـ"ويب ٢.٠".

كيف يمكن لمؤسسات المخابرات العثور على معلومات قيمة حول الأهداف المحتملة من خلال الفيس بوك وغيرها من الملفات الشخصية لوسائل التواصل الاجتماعي.

مثل هذا التنقيب عن البيانات ليس جديداً ولا ينبغي أن يكون مفاجئاً. يتتبع الفيس بوك ويخزن ويضع في الملفات الشخصية إعجابات المستخدمين وتفضيلاتهم من أجل تحسين "الإعلانات الموجّهة"[٤١]، وقد بدأ فيسبوك مؤخراً في الوصول إلى سجل المتصفح الخاص بالمستخدمين للمساعدة في هذا الأمر. وكما أن استهداف الاقتصاد هو من أسس حرب الشبكات، فإن الحرب الهجينة ترى أن الثورات الملونة هي أيضاً أساسية في حروب الشبكات. يقوم مستخدمو الفيس بوك بشكلٍ طوعي بإنشاء ملفهم النفسي الخاص بهم من خلال المعلومات التي ينشرونها بملء إرادتهم، والإعجابات التي ينقرون عليها، والأصدقاء والمجموعات المرتبطة بهم عبر الإنترنت. وتستطيع وكالات الاستخبارات بعد ذلك استخدام ظاهرة البيانات الضخمة لتنظيم الملف الاجتماعي الشامل الخاص بالأشخاص في البلدان المُستهدَفة، ثم تعمل على فلترته وتتبعه من أجل تحسين آليات التوعية هناك. هذه "الإعلانات المُوجّهَة" التي تقوم بها أفراد "الثورات الملونة" تعكس توجههم الخاص في الفيس بوك، الذي يكون أغلبه لأغراض سياسية وليست استهلاكية. وليست اقتصادية. وقد تبرر مثل هذه النظرية التفسيرات الأمنية التي قدمتها الصين ودول أخرى لحظر الفيس بوك.

إن منظومات الاستخبارات ليست مجرد مستخدمٍ سلبي لوسائل التواصل الاجتماعي، بل أثبتت بأنها تستخدم بنشاطٍ وفعاليةٍ هذه الوسيلة في عمليات الهندسة الاجتماعية. يوثق نيكيرك وماهراج كيف كان الجيش الأمريكي يستخدم برنامج بيرسونا (Persona) لبناء عشرة حسابات وهمية[٤٢] (دمية جوارب) لكل شخص بوساطة

---

[٤١] تسمح تقنية الإعلانات الموجهة بتقفي أثر المستخدم على الإنترنت من خلال متابعة وتحليل نشاطه للتعرف على اهتماماته ورغباته ليعرض عليه بعد ذلك إعلانات تناسب هذه الاهتمامات والرغبات. أي بكلام آخر، تتجسّس شركة فيسبوك وباقي شركات شبكان التواصل الاجتماعي على بياناتك الشخصية في سبيل معرفة الإعلانات الأنسب التي يجب أن يقدمها لك.

[٤٢] في الأصل يسميها الكاتب حسابات دمية جوارب، وهي تعني حسابات مزورة تنشأ لغرض إعطاء انطباعٍ بأهمية أمرٍ ما على الإنترنت بالتعليق عليه والإعجاب به والمشاركة فيه، ومثلها الذباب الإلكتروني أو اللجان الإلكترونية.

وسائل التواصل الاجتماعي، مما أتاح (إمكانية تكبير التأثير النفسي بشكلٍ كبير من قبل مجموعة صغيرة من المخبرين السريين على جمهور أوسع). على الرغم من أن الهدف من هذا هو (صناعة توافق في الآراء لصالح الولايات المتحدة بشأن القضايا المثيرة للجدل)، يقترح المؤلفان أنه يمكن استخدام هذا في التحريض على الاحتجاجات الشعبية والانتفاضات، أي الثورات الملونة.

تشير القصص الإخبارية الحديثة إلى أن التحريض على الاضطرابات المدنية وتعزيز العقل الجمعي في الدول المُستهدَفة هو الهدف الحقيقي للتدخل السرّي الذي قامت به الحكومة الأمريكية في الفيس بوك وغيرها من شبكات التواصل الاجتماعي. وأشارت تقارير روسيا اليوم بأن فيسبوك أجرى تجارب نفسيةٍ سريّةٍ على أكثر من نصف مليون مستخدم من أجل "دراسة كيفية نقل الحالات العاطفية عبر المنصة". سُمّيت الدراسة "بالدليل التجريبي على العدوى العاطفية واسعة النطاق من خلال الشبكات الاجتماعية"، وخلصت إلى نفس الأمر، هو أن "العواطف تنتشر عن طريق العدوى عبر الشبكة"، مما يزيد من قدرة المنظومات الاستخباراتية على هندسة العقل الجمعي اجتماعياً (سيتم مناقشتها في القسم التالي).

ومن سوء حظهم، أنه بعد فترة وجيزة كُشِف النقاب عن أن البحث السري على فيسبوك كان مرتبطاً عبر أحد مؤلفيه وإحدى مؤسساته بمبادرة مينيرفا لأبحاث البنتاغون، حيث يوفر هذا المشروع التمويل للباحثين الذين يدرسون العلاقة بين وسائل التواصل الاجتماعي والاضطرابات المدنية. يصف المؤلف المعني جيفري هانكوك نفسه على صفحة الويب الخاصة بجامعة كورنيل على أنه مهتم بالديناميات النفسية والشخصية لوسائل التواصل الاجتماعي والخداع الاجتماعي، واللغة الاجتماعية، وقد سبق أن تلقى أموالًا من مينيرفا لإجراء أبحاث مثل "نمذجة الخطاب والديناميات الاجتماعية في الأنظمة الاستبدادية" و "المجهولون المعروفون: الصدمات الاستراتيجية الغير تقليدية في تطوير استراتيجية الدفاع". تعاونت جامعة كورنيل سابقاً مع مينيرفا في توقع "دينامية حشد الحركة الاجتماعية والعدوى" وأرادت

"توقع" الكتلة الحرجة (النقطة الحاسمة) من الاضطرابات الاجتماعية والهيجان من خلال دراسة "آثارها الرقمية" انطلاقا من عدد من الأحداث الأخيرة.

وكما تبين فيما بعد، أنفقت وكالة مشاريع البحوث المتطورة الدفاعية التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) المسماة داربا (DARPA) ملايين الدولارات في تمويل أبحاثٍ مشابهة أخرى لِبرنامج التواصل الاجتماعي في الاتصالات الاستراتيجية (SMISC). ننقل هنا اقتباسات مقالة روسيا اليوم من موقع داربا الإلكتروني: (من خلال البرنامج[٤٣] تسعى داربا إلى تطوير أدوات لدعم جهود العاملين البشر بمعلوماتٍ صحيحة في سبيل مواجهة حملات التضليل أو الخداع). باعتبار أننا تكلمنا مسبقاً كيف يمكن لوسائل التواصل الاجتماعي وشبكاتها أن تستخدم في العمليات النفسية، فإن بيان داربا لا يقول الحقيقة كاملةً، فبدلاً من استخدام البرنامج بشكل دفاعي كما تدعي داربا، يمكن أيضاً استخدام البرنامج بشكلٍ هجومي لإصابة جمهور المتلقين بالأفكار المناهضة للحكومة عبر وسائل التواصل الاجتماعي ومنصات الشبكات مثل الفيس بوك. ويمكن استخدام هذا البرنامج لتعزيز عقلٍ جمعيٍ يمكن التلاعب به لبدء الاضطرابات المدنية على نطاقٍ واسع، والتي بمجرد أن تلتقطها وسائل الإعلام الدولية (الغربية)، تصبح "ثورةً ملونةً".

الفصل الثاني: أسراب الاجتياح والعقل الجمعي

ذكرنا أعلاه أن الهدف الرئيسي من تسلل المخابرات الأجنبية إلى شبكات التواصل الاجتماعي هو خلق العقل الجمعي. يمكن للعقل الجمعي أن يدفع بعد ذلك أعضاءه للاجتياح بتكتيك الأسراب نحو الهدف بطريقةٍ تبدو فوضوية من أجل تعطيل حلقة OODA مما يؤدي إلى انهيارها. في سياق الحرب الهجينة، هذه هي الجماهير التي تحتشد كأسرابٍ منقضّة على مراكز القوة الرمزية والإدارية للسلطات باعتبارها وحدةً

[٤٣] يقصد الموقع برنامج التواصل الاجتماعي في الاتصالات الاستراتيجية SMISC

واحدة (إذا كانت لا مركزية) من أجل أن تؤدي إلى تغيير النظام من خلال حكم الغوغاء (أي الفوضى المنظّمة والموجهّة).

في بحث الكتاب الذي تم إجراؤه حتى الآن، تم إثبات أن العقل الجمعي يمكن تصميمه من قبل منظومات الاستخبارات الأجنبية عبر منصات وسائل الإعلام الاجتماعية ومبادئ الحرب الشبكية. ولتحقيق هذا الأمر، يتم استخدام أساليب "العلاقات العامة" التي يدعو لاستخدامها بيرنيز على نطاقٍ واسع في العالم الافتراضي والمادي. والغرض من ذلك هو تجميع أكبر عددٍ ممكنٍ من الأشخاص الذين أصبحوا يتشاركون بشكلٍ غير مباشر نفس القناعات المناهضة للحكومة. الأهم من ذلك، يجب أيضاً أن "تتم برمجة" هؤلاء الأفراد عبر الحرب القشرية العكسية بالرغبة في إحداث التغيير بفاعلية عندما يتم اتخاذ قرار الشروع في ثورةٍ ملونة. من خلال هذه الوسائل تصبح الأجزاء المختلفة "بعقليةٍ واحدة" ويمكن نشرهم كوحدةٍ واحدة.

من الممكن أيضاً تسمية العقل الجمعي هذا بالوعي الجماعي أو ذكاء السرب، اعتماداً على ما إذا كان يعمل بشكلٍ سلبي أو نشط. يتم تعريف الوعي الجماعي من قبل آنا بيبماير (Anna Piepmeyer) من جامعة شيكاغو بأنها "كيفية رؤية أيّ فرد لوضعه في المجتمع ككل، وكيفية رؤيته لنفسه كجزءٍ من أيّ مجموعة". وتضيف بأن الوعي الجماعي هو "التأثير على جمهورٍ معين و/أو التأثر من قبل هذا الجمهور الذي تتعرض أفكاره وأفعاله لضغوطٍ خارجية باستمرار"، مع قيام الحرب الهجينة بأخذ هذه الضغوط الخارجية على وجه التحديد كوسيلة لمنظومات الاستخبارات الأجنبية المخصصة لتعزيز الاضطرابات المدنية التي تستهدف تغيير النظام داخل الدولة / المجتمع المُستهدَف. وترى بيبماير أن "الوعي الجماعي هو مصطلح يحتاجه المنظرون الإعلاميون كثيراً لأنه يفترض تأثيراً واحداً للوسائل الإعلامية – إن لم يكن التأثيرات كلها – التي تتمثل وظيفتها الأساسية الأوسع في حمل / نقل / تفسير / تجسيد الرسائل / المعلومات من موقعٍ إلى آخر". كل هذا

يتوافق مع فهم الحرب الهجينة لدور وسائل التواصل الاجتماعي في توليد المعارضة للحكومة بشكلٍ مصطنع.

يصبح العقل الجمعي نشطاً عندما يشارك أعضاؤه في الأعمال المناهضة للحكومة، وبالتالي ينتقلون لممارسة الذكاء السربي (swarm intelligence). يقول جياني دي كارو من جامعة واشنطن بأن هذا الذكاء "مستوحى من الحاسوب والسلوكيات الحديثة... استلهمت في الأصل من الأمثلة البيولوجية التي قدمتها الحشرات الاجتماعية (النمل والنمل الأبيض والنحل والدبابير) وبواسطة سلوكيات الأسراب والقطعان والمجموعات في الفقريّات" استخدِمت عبارة "ذكاء السرب" لأول مرة لوصف الذكاء الاصطناعي المستوحاة من سلوك بعض الحشرات، ولكنه ينطبق أيضاً على البشر الذين يعملون داخل شبكةٍ اجتماعية بما يناسبهم. كتب أركيلا ورونفيلدت عن هذا في عام ٢٠٠٠ عندما نشروا "الأسراب ومستقبل النزاع". في كتابهما يصف رواد الحروب الشبكية طريقةَ الأسراب للحرب على هذا النحو:

تبدو فكرة الأسراب للناظر فكرةً فوضويةً غير واضحة المعالم، لكنها طريقةٌ استراتيجيةٌ ومنسقةٌ ومهيكلةٌ بشكلٍ مدروسٍ للضرب من جميع الاتجاهات، بواسطة الطَّرْق المُستدام بالقوة و / أو النيران، من مسافةٍ قريبةٍ وكذلك من مواقع بعيدةٍ آمنةٍ. وستعمل على أفضل وجه – ربما لن تنجح غيرها – إذا تم تصميمها على أساس نشر وحدات مناورات متعددةٍ لا تعد ولا تحصى صغيرة ومتفرقة ومترابطة بالشبكات (ما نسميه "القرون" المُنظَّمة في "العناقيد").

هم يؤكدون بثقة أن "صعود عمليات المعلومات المتطورة سيجلب أسلوب الأسراب إلى صدارة العمل، مُقِيمةً بذلك نمطاً جديداً من الصراع". علاوةً على ذلك، يجادلون بأن "عمليات المعلومات الذكية – وبالأخص الجزء منها الذي له علاقة بإدارة تدفقات المعلومات الخاصة بالفرد – ستكون ضروريةً إذا كان أسلوب الأسراب سيرْسَخ استخدامه". وهذا يعني أن حروب الجيل الرابع، وثورة المعلومات، وحروب الشبكات كلها معاً ستشكل تكتيكات الاجتياح بالأسراب، وهذا سيمثل خلاصة نظرية الفوضى المسلحة في شكلٍ اجتماعي. بالطبع لديها أيضاً تطبيقاتٌ عسكرية، ولكن

ستتم مناقشتها في الفصل الثالث عندما يتم فحص ركن الحرب الغير تقليدية من الحرب الهجينة.

الأسراب والثورات الملونة

وبالعودة إلى الثورات الملونة، يَعتَبِر إنغدال بصراحةٍ في كتابه المذكور سابقاً؛ أن الأسرابَ هي التكتيك الأساسي المُستخدم في تحقيق هذه الأحداث بنجاحٍ، والمتمثلة في "الهيمنة التامة: تطبيق الديمقراطية المطلقة في النظام العالمي الجديد". ويرى إنغدال الشبكات والتقنية كمكونين محوريين للأسراب. كما أنه كتب في ثورة البلدوزر (ثورة ملونة) عام ٢٠٠٠ في صربيا، عن مرحلتها الأولى أن:

" التكتيكات السلمية الخالية من العنف التي تدرّب عليها شباب الأوتبور[٤٤]، كانوا قد اكتسبوها من تحليل مؤسسة راند لأساليب جنكيز خان الحربية التي تم ترقيتها باستخدام تقنيات الشبكات الحديثة، بحيث تربط الناس بين بعضهم البعض كأسراب النحل. وباستخدام صور الأقمار الصناعية لنظام تحديد المواقع العالمي، يمكن للعملاء الخاصّين توجيه القادة الذين تم اختيارهم بعناية وتدريبهم تدريباً خاصاً، كما يمكن أيضا توجيه الموجودين على الأرض للمناورة خلال مظاهرات الكر والفر "التلقائية"، والتي استعصت على الدوام على الشرطة أو الجيش ".

ويتابع حديثه قائلاً:

"ما كان جديدًا في انقلاب بلغراد ضد ميلوسيفيتش هو استخدام الإنترنت؛ وخاصة غرف الدردشة، والرسائل الفورية، ومواقع المدونات؛ إلى جانب الهواتف المحمولة، بما في ذلك الرسائل النصية القصيرة SMS. باستخدام هذه القدرات التقنية العالية التي ظهرت في منتصف التسعينيات فقط، تمكن عددٌ قليلٌ من القادة المدربين من

[٤٤] وهي حركة شبابية مثلت المقاومة الشعبية الصربية (الثورة الملونة حسب رأي الكاتب) عام ٢٠٠٠ في ثورة البلدوزر وأطاحت بالرئيس الصربي ميلوسيفيتش.

توجيه الشباب المتمرّد والقابل للتأثُر المتمثل "بجيل X"[٤٥] داخل المظاهرات الجماهيرية وخارجها حسب الرغبة ".

هذه الملاحظة تفيد صحة الرأي القائل بأن الشبكات المُنظّمة والمنشورة بشكلٍ فعالٍ باستخدام الوسائل التقنية، يمكن أن تتطور إلى خلايا من الأسراب تزعزع استقرار المجتمع في طريقها للإطاحة بالحكومات المُستهدَفة. وهذا يجعل تكتيكاتهم غير مباشرةٍ وفوضويةٍ، مما يقوض حلقات اتخاذ القرار OODA لدى السلطات، ويمنح الأسراب المُهاجِمة زمامَ المبادرة الاستراتيجية. **في الوقت الحاضر تُعَدّ خرائط جوجل واليوتيوب والفيس بوك والتويتر جزءاً لا يتجزأ من "الترسانة" التي يستخدمها المحاربون الهجينون،** حيث ينسب للأخيرين بالتحديد الفضل في إنتاج أحداث الربيع العربي. وبالنسبة لهذه المنصات الاجتماعية الأربعة؛ المتوفرة على الهواتف المحمولة الحديثة؛ لتعمل معاً على زعزعة الاستقرار والمساعدة في الهجوم كأسراب، بالنسبة لهذه المنصات سنعرض كيف تنظر نظرية الحرب الهجينة لها:

إن فيسبوك هو البوابة للانضمام إلى حركة الثورة الملونة والترويج لها، حيث من خلالها يتم تجنيد الداعمين، كما يتم توفير مجموعاتٍ تواصل مغلقةٍ يتمكن النشطاء المناهضين للحكومة من خلالها من الاجتماع ومناقشة استراتيجياتهم. بمجرد اتخاذ القرار ببدء الثورة الملونة، يتم استخدام خرائط جوجل لتخطيط طرق المظاهرات، وتحديد المناطق العامة (عادةً المتنزهات) حيث يمكن للناشطين التجمع مسبقاً، وتحديد أفضل الأماكن لحشد مسيرات الأسراب (مثل الميدان الأوروبي كما في حالة أوكرانيا). أثناء القتال الحضري ضد الأجهزة الأمنية، يمكن لخرائط جوجل عرض طرق الهروب بسرعة للمقاتلين ومساعدتهم في وضع خططهم الهجومية. وهذه المعلومات – بالإضافة لنشر الرسائل من أي نوعٍ إلى جميع أعضاء الحركة – يمكن نقلها على الفور عبر تويتر. وأخيراً يمكن للنشطاء تصوير أعمالهم من هواتفهم المحمولة وتحميل مقاطع الفيديو الصديقة لحراكهم (والتي يمكن أن تكون مُضلّلة و /

[٤٥] مصطلح يشير إلى الفئات التي ولدت ما بين أوائل الستينات إلى أوائل الثمانينات، ويستعمل هذا المصطلح في عدة مجالات منها الدراسات السكانية وعلم الاجتماع والتسويق، لكنه يستعمل بنسبة أكبر في الثقافة الشعبية الحديثة.

أو مُعدّلة) على اليوتيوب. يمكنهم بعد ذلك استخدام حسابات تويتر والفيس بوك نفسها أو أخرى للإعلان عن مقاطع الفيديو الخاصة بهم على الإنترنت في محاولة للحصول على أكبر عددٍ ممكنٍ من المشاهدات. تساعد الهاشتاغات (الوسوم Hashtags) في تنظيم المعلومات لاسترجاعها أثناء البحث السريع وتسهيل عملية البحث على الجوجل وخوارزميات البحث الأخرى. وأحد أهداف هذه الأعمال هو جعل حركة "الثورة الملونة" تتحول إلى "عدوى"، بحيث تنتشر على الصعيد الدولي (الغربي)، وبالتالي توفر الفرصة للولايات المتحدة والحكومات الأخرى أن تصدر بياناتٍ علنيةٍ وأن تقوم بمحاولاتٍ دبلوماسيةٍ للانخراط في الشؤون السيادية لدولةٍ مستقلةٍ وسط ضجةٍ عامة محلية داعمة. ووفقاً لمقاربة التكيف المُبيَّنة في المقدمة يمكن أن يؤدي ذلك في نهاية الأمر إلى عمليةٍ عسكريةٍ، لكن من المهم أن ندرك أن زعزعة الاستقرار هذه تَدِينُ بنشوئها إلى دور وسائل التواصل الاجتماعي.

الفصل الثالث: تكتيكات وممارسة الثورات الملونة

يناقش هذا القسم بعض تكتيكات الثورة الملونة أثناء ممارستها الميدانية، وهو يزود القارئ بالمعرفة حول ما يحدث فعلياً في الشوارع بمجرد بدء الثورة الملونة.

أولا: "ميكيافيلّي اللاعنف"

قد يكون جين شارب[٤٦] هو الفرد المسؤول بمفرده عن نجاح الثورة الملونة. بالنظر لكونه "ميكيافيلّي اللاعنف"[٤٧] فقد كتب بشكلٍ موسعٍ حول كيفية استخدام الأساليب السلمية لزعزعة استقرار الحكومة وتقويض سلطتها. ويعتقد شارب نفسه بضرورة وجود بطولةٍ ملحميةٍ لتحرير الناس في جميع أنحاء العالم مما ينظر إليه على أنه

---

[٤٦] جين شارب (٢١ كانون ثاني ١٩٢٨ - ٢٨ يناير ٢٠١٨) هو أستاذ العلوم السياسية في جامعة ماساتشوستس في دارتموث ومرشح للحصول على جائزة نوبل للسلام. ارتبط اسم جين شارب بالكتابة والتأليف في الموضوعات الخاصة بالكفاح السلمي، وقد استقت من كتاباته العديد من التحركات المناهضة للحكومات حول العالم.

[٤٧] كما وصفته مجلة السياسي الجديد الأمريكية.

ديكتاتورية وأوتوقراطية، وقد كرس حياته من أجل صياغة أساليب مبتكرةٍ وخاليةٍ من العنف يمكن أن يستخدمها أفراد هذه الثورات بشكلٍ كبير. كان أول أعماله البارزة كتاب "من الدكتاتورية إلى الديمقراطية: إطار تصوري للتحرر"، والذي يقول شارب بأن الغرض الذي ألهمه لتأليف الكتاب كان الإطاحة بحكومة ميانمار في عام ١٩٩٣. وفيه يقدم مشورة الخبراء حول كيفية تنظيم مجموعات المقاومة السلمية التي تهدف إلى الإطاحة بالحكومة، وهو يشرح أيضاً ما يعتبره نقاط ضعفٍ مؤسسية للحكومات المركزية القوية ("الديكتاتوريات"). وتعاون شارب مع العقيد السابق بالجيش الأمريكي روبرت هيلفي، بل إن الفضل يرجع إلى الأخير في تشكيل مفهوم "التحدي السياسي الجماهيري".

المعلومات عن ذلك مفصلةٌ للغاية وأطول من أن نضمّنها في هذا البحث، ونوصي المهتمين بقراءة كتاب شارب بأنفسهم لإدراك النطاق الاستراتيجي لهذا العمل. ومع ذلك نعرض بعض المقتطفات:

"في حالة المفاوضات يكون التحول في موازين القوى لصالح الحركات الديمقراطية قادراً على حماية القضايا الأساسية الموضوعة على المحك. لكن هذا التحول لا يحدث إلا من خلال النضال لا المفاوضات فقط."

"يعمل توقف التعاون الشعبي والمؤسساتي عن المعتدين والحكام الدكتاتوريين على تقليص وربما قطع توفر مصادر القوة التي يعتمد عليها جميع الحكام. فبغياب هذه المصادر تضعف قوة الحكام ومن ثم تتحَلّ."

"يعتبر النضال السلمي أكثر تعقيداً ويستخدم أساليب أكثر تنويعاً مقارنةً بالعنف، يدخل في ضمنها: الأسلحة النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمواطنين ولمؤسسات المجتمع ".

"يتعين على الاستراتيجيين أن يتذكروا أن الصراع الذي يتم فيه تطبيق التحدي السياسي هو مجال صراع دائم التغير مع استمرار التفاعل بين الحركات والحركات المضادة. لا شيء ثابت ".

"على الاستراتيجيين أن يدركوا دائماً أن النزاع، حيث يستخدم التحدي السياسي، هو حقل نضال حافل بالمتغيرات المستمرة حيث هناك تفاعلٌ وتحركاتٌ وتحركاتٌ مضادة ولا يوجد سكون."

"إن اللاتعاون والتحدي الجماهيري يستطيعان أن يغَيّرا مجرى الأوضاع الاجتماعية والسياسية وخاصةً موازين القوى، حيث تُنزَع قدرة الحاكم الديكتاتوري، ويضعف تحكم الحكومة بالعمليات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبالتالي عزله عن المجتمع".

"يعزز التأثير المتراكم لحملات التحدي السياسي الناجحة والمُنفّذَة بطريقةٍ جيدة المقاومةَ وينشئ ويوسع مجالاتٍ في المجتمع تواجه الديكتاتورية فيها قيوداً على سيطرتها الفعّالة".[٤٨]

وكما يتبين ممّا سبق فإن كتاب "من الدكتاتورية إلى الديمقراطية" عالمياً يمثّل المنشور الرسمي والدعوة السلمية للثوريين الملونين لخوض الصراع.

ثانيا: دليل ميداني للثورة الملونة

مستفيداً من نجاح كتاب "من الدكتاتورية إلى الديمقراطية" على مدى عقدٍ من الزمن وقبوله على نطاقٍ واسعٍ من قبل المجموعات التخريبية في جميع أنحاء العالم، قام شارب بتأليف كتابٍ اضافي عام ٢٠٠٣ بعنوان "البدائل الحقيقية". في حين كان كتابه الأول هو البيان والاستراتيجية، يمكن النظر إلى هذا الكتاب على أنه خطة العمل والتكتيكات، فقد أوضح فيه ١٩٨ أسلوباً محدداً للمقاومة السلمية فكّر بها و / أو شاهدها سابقاً في العمل. ومعظمها تتمثل بأساليب تحدي الحشود العسكرية التقليدية التي يجب أن تكون معروفة الآن لمراقبي الثورات الملونة، نقتني منها:

[٤٨] تم استخراج هذه الاقتباسات من النسخة العربية لكتاب جين شارب من الدكتاتورية إلى الديمقراطية، والترجمة صادرة عن مؤسسة إلبرت أينشتاين التابعة له.

١. الخطابات العامة

٧. شعارات ورسوم كاريكاتورية ورموز

٣٨. مسيرات

٤٧. التجمع من أجل الاحتجاج أو التأييد

٦٣. العصيان الاجتماعي

١٢٤. مقاطعة الانتخابات

١٣١. رفض الموظفين المُعيّنين

١٧٣. الاحتلال اللاعنيف

١٨٣. استيلاء على الأراضي باستخدام اللاعنف

١٩٨. ازدواجية السلطة والحكومة الموازية

البعض الآخر منها أقل ما يُقال عنه بأنه في غاية الابداع:

١٢. الكتابة في الجو والكتابة على الأرض

٣٠. ايماءات بذيئة

٣٢. توبيخ المسؤولين

٤٤. الجنازات الرمزية

٦٩. الاختفاء الجماعي

١٤٠. الاختباء والهروب واستخدام الهويات الزائفة

١٥٨- الانكشاف أمام العناصر الطبيعية[٤٩]

---

[٤٩] كالاحتجاج بالوقوف في الشمس أو تحت الثلج أو في حالة هبوب عواصف ريحية

١٥٩. الصيام

١٧٨. مسرح العصابات[٥٠]

تشكل هذه الوسائل وغيرها أساليب المقاومة السلمية التي ينهمك الثوار الملونون في استخدامها ضد الحكومة في حملاتهم، إلا أنه يجب التذكير بأن أعمال العنف الغير تقليدية العنيفة (خاصةً في الأزمتين السورية والأوكرانية) شائعة الاستخدام أيضاً من قبل متمرّدي المدن. وتزداد فعاليةُ معظم الأساليب النشطة – وخاصةً العنيفة منها – من خلال تشكيل أعضاء الثورات الملونة في أسراب الاجتياح.

يمكن رؤية تطبيق تعاليم شارب في جميع الثورات الملونة للآن، وحتى لاحظ ذلك إنغدال. وليس من قبيل الصدفة مسارعةُ إذاعة صوت أمريكا (Voice of America) – التي تموّلها الحكومة الأمريكية وموّلتها وكالة الاستخبارات المركزية سابقاً – إلى نسبة الفضل لجين شارب في إنتاج أحداث الربيع العربي، وذلك في ٥ حزيران ٢٠١١. ومن المهم التبيّين بأنه لم يتم تقديم هذا الرأي على أنه رأي، بل كوقائع إخبارية. وبعد ذلك بشهر، كرّرت صحيفة التلغراف نسبة الفضل لشارب. ثم في سبتمبر ٢٠١١، تم إصدار فيلم وثائقي عن حياته وعمله بعنوان "كيف تبدأ ثورة"، والذي استمر كذلك في نفس الاتجاه. ومن ثم تم ترديد نفس الرواية في قناة CNN وصحيفة النيويورك تايمز في العام التالي. من الواضح تماماً أن الإعلام الغربي أراد أن يعبّر عن حقيقة أن كتابات شارب كانت مؤثرة جداً على "الثورات الملونة" الواسعة عبر المسرح العربي والتي أطلق عليها فيما بعد "الربيع العربي".

لرؤية كل هذا الكلام من منظورٍ جيوسياسي، من الضروري تذكر مفاهيم البلقان الأوراسي، وأطراف جزيرة العالم، وحزام الحطام من الفصل الأول. إذا وضعت هذه

[٥٠] سماها المؤلف جين شارب (Guerilla theater)، ووفقاً لترجمة مركز اينشتاين التابع له ترجموها مسرح المغاوير، إلا أن المصطلح الشائع له بالعربية مسرح العصابات، وهو شكل من أشكال العروض المسرحية التي تُقام على شكل احتجاجات، نشأ عام ١٩٦٥ على يد سان فرانسيسكو مايم تروب، وبإلهامٍ من كتابات تشي جيفارا التي تم من خلالها الحصول على تعبير. وقد هدفت العروض التي تقدمها المجموعة إلى مناهضة حرب فيتنام والرأسمالية، وكانت تتضمن في بعض الأحيان موضوعات عن استخدام المحرمات أخلاقياً والألفاظ النابية والعزل، والتي كانت صادمة لبعض أفراد الجمهور في ذلك الوقت.

المفاهيم على الخريطة، فإن مواقع الثورات الملونة السابقة والربيع العربي (التي حددها مؤتمر موسكو ٢٠١٤ حول الأمن الدولي كموجةٍ من الثورات الملونة) تتطابق مع هذه النظريات الجيوسياسية. لذلك تم توظيف كتابات شارب بنجاحٍ في بعض المناطق الأكثر تقلباً عبر العالم من الناحية السياسة لإحداث فوضى تزعزع استقرار الأنظمة وتغيّرها. هذا يثبت الحقيقة المضحكة المميتة، بأن أساليبه "السلمية" كانت في الحقيقة ضدّ الحكومات الشرعية، مع تجاهل الأضرار الجانبية التي أحدثتها على الأرواح بشكلٍ غير مباشرٍ في سوريا وأوكرانيا.

الفصل الرابع: أبرز ممارسي الثورات الملونة

هناك موظفان بارزان من الحكومة الأمريكية يتوجب ذكرهما فيما يتعلق بممارسة الثورات الملونة، وهما جون تيفت وفرانك أرشيبالد. هذان الشخصان مرتبطان بقوةٍ بهذا الركن من الحرب الهجينة وكان تأثيرهما عميقاً.

أولا: جون تيفت



جون تيفت

أولهما هو جون تيفت السفير الأمريكي الجديد لدى روسيا. شغل قبل منصبه الأخير عدداً من المناصب البارزة خلال فتراتٍ زمنيةٍ مهمة. وقامت إذاعة صوت روسيا بالبحث بشكلٍ مفصلٍ عن تاريخه وأفادت بأنه كان نائب رئيس البعثة في السفارة الأمريكية في موسكو في الفترة من ١٩٩٦ إلى ١٩٩٩، بين حربي الشيشاني الأولى والثانية. ثم شغل منصب سفير الولايات المتحدة في ليتوانيا بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٣، حيث كانت ليتوانيا تستعد للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي عام ٢٠٠٤. وبعد ذلك، نال استراحةً من الدبلوماسية وعمل لمدة عامٍ كمستشار للشؤون الدولية في كلية الحرب الوطنية في العاصمة واشنطن بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤. ومن ثم عاد إلى عمله كسفيرٍ، وعمل في جورجيا بين عام ٢٠٠٥ و٢٠٠٩. وهذا مهمٌ بالتحديد، لأنه يتزامن مع الحرب الروسية الجورجية عام ٢٠٠٨، وفي الفترة التي سبقت ذلك كانت جورجيا دولةً تابعةً ومهمةً للولايات المتحدة لاستيرادها الأسلحة الأمريكية ولمساهمتها في حرب أفغانستان والعراق.

لكن المهمة الأكثر صلةً بالكتاب هي مهمة تيفت كسفير الولايات المتحدة في أوكرانيا بين عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٣. وخلال تلك الفترة تم إعداد الثورة الملونة ضد فيكتور يانوكوفيتش الذي عاد إلى منصبه عام ٢٠١٠. في المقال نفسه حول تاريخ تيفت، سألت صوت روسيا ديمتري بوليكانوف، نائب رئيس مركز روسيا للبحوث السياسية ورئيس النادي الدولي للاتحاد الأوروبي، عن نظرته للسفير الأمريكي الجديد في روسيا، فأجاب بما يلي:

من جهة أصبح السفير تيفت سيئَ الصيت في موسكو بسبب تدخله العميق في الشؤون الداخلية لجورجيا وأوكرانيا، فقد اعتبره العديد من المسئولين الروس مستشارا لـ "الثورة البرتقالية"، وذلك بسبب سجله وتصريحاته السابقة. من ثم فإنه على الأرجح سيتمتع باتصالاتٍ جافةٍ ورسمية جداً، وعلاوةً على ذلك، بينما يُدعى مايكل ميكفاول من "منظري التغيير"، كان جون تيفت في مركز ممارسة التغيير في جورجيا وأوكرانيا.

وبهذا يمكن أن يُشار إلى تيفت بأنه ممارسٌ لتغييرات الثورات الملونة في أطراف الاتحاد السوفييتي السابق، حيث دعم حكومة الورد في جورجيا خلال حربها مع روسيا[٥١] وساعد في إطاحة يانوكوفيتش في أوكرانيا. وإن هذان البلدان يشكلان نقطتين جيوسياسيتين هامتين لنفوذ الولايات المتحدة بالقرب من حدود روسيا (خاصةً في ضوء السياقات الجيوسياسية التي تم شرحها في الفصل الأول)، مما يرفع من مكانة تيفت. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يُنظَر إلى تيفت على أنه كان فعالاً جداً في تنفيذ المهام المناهضة لروسيا، نظراً للاستبدال السريع نسبياً للنفوذ الروسي في أوكرانيا بنفوذ الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي منذ انقلاب فبراير (مع الاستثناء المهم هو إعادة ضم شبه جزيرة القرم). ومن المحتمل جداً أن تعيينه كسفيرٍ للولايات المتحدة لروسيا جاء كمكافأة تتويجٍ لتاريخه من تعزيز النفوذ السياسي الخارجي الأمريكي القوي في المجال السوفيتي السابق. ومن المحتمل أيضاً أنه يخطط لتنظيم البنية التحتية اللازمة لتنفيذ ثورةٍ ملونةٍ مستقبلاً في روسيا.

ثانيا: فرانك ارشيبالد



فرانك أرشيبالد

كان فرانك أرشيبالد رئيس الخدمة السرية الوطنية في وكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، وهو فرع الوكالة المسؤولة عن العمليات السرية حتى أوائل عام ٢٠١٥.

---

[٥١] هي ثورة ملونة أطاحت بنظام الرئيس الجورجي السابق إدوارد شيفردنادزه المدعوم من موسكو، وأوصلت ميخائيل ساكاشفيلي المدعوم غربياً وزعيم المعارضة الجورجية سابقاً إلى سدة الرئاسة الجورجية، وكان ميدان الحرية موقعاً لتلك الثورة.

ويمكن أن تتنوع أنشطتها من الانقلابات (الثورات الملونة) حتى الاغتيالات. ولا يُعرف الكثير عن أرشيبالد عدا خلفيةٍ موجزةٍ عن تاريخه، والتي نشرتها مجلة نيوزويك في أكتوبر ٢٠١٣، أي بعد نصف عام تقريباً من تعيينه. وفي مايو ٢٠١٣ كشف مراسل سابق لصحيفة واشنطن بوست عن هوية أرشيبالد كرئيسٍ للخدمة السرية الوطنية على التويتر، وكان مقال نيوزويك يهدف إلى توفير بعض الحشو من خلفيةٍ ناقصةٍ مبهمةٍ لتاريخه المهني. كان الشيء الأكثر أهميةً وارتباطاً بما ذكرناه هو أن وكالة أسوشيتد برس ذكرت عنه أنه كان "مورد الأسلحة" خلال الحرب الأهلية البوسنية وأنه "كان يدير العمل السري الذي ساعد على إزالة الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش من السلطة"، وهذا الأمر من دون مبالغة في غاية الأهمية.

عندما تتم ترقية خبير في الحملات شبه العسكرية والثورات الملونة – بالصدفة هو الشخص الذي قام بأول ثورة ملونة ناجحة في التاريخ – إلى قمة الخدمة السرية الوطنية، عندها يجب أن نشك في جميع الحركات الثورية الملونة كصنيعةٍ لوكالة المخابرات المركزية[٥٢]، كما ينبغي أن نورد الشكوك نفسها لأي حرب غير تقليدية تدعم المصالح الأمريكية. كما يظهر تعيين أرشيبالد أن مثل هذه الأساليب ستصبح على الأرجح أكثر انتشاراً وتوظيفاً من قبل الولايات المتحدة من أي وقتٍ مضى.

الفصل الخامس: خلاصة الباب

استكشف هذا الباب النشوء النظري للثورات الملونة وتطبيقاتها الحديثة. وقد برهن فضل الأساليب النفسية الجماهيرية التي طرحها إدوارد بيرنيز لأول مرة في "الدعاية" في إنشاء الثورات الملونة. يرجع ذلك إلى حقيقة أن الثورات الملونة هي أولاً وقبل كل شيء تدور حول نشر رسالةٍ معينةٍ (مثل المناهضة للحكومة) إلى جمهورٍ كبيرٍ، وهذا هو المكان الذي تكون فيه أفكار بيرنيز أكثر قابليةٍ للتطبيق. الأهم من ذلك، أن

[٥٢] يفسر هذا الكلام التصرفات الروسية في كل من سوريا وأوكرانيا، وخاصة في سوريا عندما تظهر روسيا عدم رغبتها في أي حل يكون للولايات المتحدة دور فيه إن كان عبر جنيف أو فيينا، وهذا ما دفعها لإنشاء منصات مثل أستانة وسوتشي.

هذه الرسالة خارجيةٌ في منشئها ومصممةٌ لتخريب سلطة الحكومة المُستهدَفة. إنها تستهدف نفسيات الأفراد لتحفيزهم على القتال، مما يعطيها صفات الحروب القشرية العكسية الجديدة. تصبح هذه الرسائل حروباً مرتكزةً على الشبكات وحروباً شبكية على نطاقٍ واسعٍ بمساعدة التطورات الحديثة في تقنيات المعلومات والاتصالات. الهدف هو الحصول على أكبر عددٍ ممكنٍ من الأشخاص للدخول إلى الشبكة الاجتماعية لحركة الثورة الملونة ونشر الفكرة بنفس الطريقة التي تنتشر بها العدوى عبر نظامٍ بيولوجيٍ أو تقنيٍ.

تضافرت جهود الشركات العسكرية الأمريكية وشركات التقنية الخاصة (في دراسة الحالة الخاصة للكتاب هي الفيس بوك) لتحقيق أقصى قدرٍ من تأثير حرب الشبكات الاجتماعية في القرن الحادي والعشرين. والهدف من ذلك هو خلقُ عقلٍ جمعيٍ من عددٍ لا يُحصى من الأفراد الذين يكرّسون أنفسهم للحملة المناهضة للحكومة ويصبحون "بعقليةٍ واحدة". ويمكن بعد ذلك التلاعب في الجموع ليقوموا بهجمات الأسراب التكتيكية التي هي مظهرٌ من مظاهر نظرية الفوضى المسلحة، التي من الصعب للغاية أن تستعد لها الحكومة أو تصدها. ويتم استخدام أساليب جين شارب بشكل كبيرٍ خلال مرحلة الأسراب وهي توفر وسائل مبتكرة للسرب في زعزعة استقرار المجتمع. وقد شوهد هذا الأسلوب المُنمَّط في كل ثورةٍ ملونةٍ وأثناء الثورات الملونة على مسرح "الربيع العربي". وعلاوةً على ذلك فإن عصر الثورات الملونة لم ينته بعد، حيث تم ترقية اثنين من أبرز الممارسين إلى بعض المناصب الأكثر أهمية في الحكومة الأمريكية. جون تيفت – العقل المدبر لثورة الميدان الأوكرانية – هو الآن سفير الولايات المتحدة في روسيا، وفرانك أرشيبالد، وهو مورد الأسلحة سابقاً ضمن وكالة الاستخبارات المركزية في البوسنة ومهندس الثورة الأولى الناجحة في صربيا عام ٢٠٠٠، والآن هو رئيس الخدمة السرية الوطنية (NCS) بين أواخر ٢٠١٣ وأوائل ٢٠١٥. كل هذا مُجتَمِعَاً يثبت أن العالم قد بدأ للتو في تطبيق تجربة ثورة الحرب الهجينة في الاستراتيجية العسكرية.

الباب الرابع: تطبيق الحرب الغير تقليدية

الفصل الأول: ما هي الحروب الغير تقليدية؟

قبل البدء في الباب، من المهم تعريف الحرب الغير تقليدية بشكل دقيق، وكيف يتم فهمها في هذا الكتاب. قام المقدم بريان بيتت الذي كتب عن "الحرب الخاصة" في المنشور الرسمي ربع السنوي لمركز وكليّة جون فرانك كينيدي التابع للقوات الخاصة الأمريكية بتعريف الحرب الغير تقليدية على هذا النحو:

"هي الأنشطة التي تُنفَّذ لتمكين حركة المقاومة أو التمرد من التضييق على الحكومة أو تعطيلها أو إسقاطها، أو الاستيلاء على السلطة من خلال العمل عبر قوة عصابات سرية واحتياطية (مساعدة) أو من خلال العمل معها في منطقة مُحرّمة. الحرب الغير تقليدية ليست آلية لإنشاء الظروف الثورية؛ وبدلاً من ذلك فهي تستحوذ على البنية التحتية السياسية والعسكرية والاجتماعية القائمة، لتستغلها وتدعمها في تسريع العمل الحاسم وتحفيزه في سبيل تحقيق الربح السياسي المحسوب والمصالح القومية للولايات المتحدة."

من المهم إبراز الجزء الأخير من وصف بيتت للحرب الغير تقليدية، وهي أن الحرب الغير تقليدية لا تحدث من تلقاء نفسها؛ فبدلاً من ذلك، هي استمرار لصراعٍ قائمٍ بالفعل في المجتمع، ودور الحرب الغير تقليدية هو مساعدة الحركة المناهضة للحكومة العاملة في إطار هذا الصراع بغية الإطاحة بالسلطة. وتفترض نظرية الحرب الهجينة أن الصراع القائم هو ثورةٌ ملونةٌ ومصنّعةٌ في الخارج، وأن الحرب الغير تقليدية يمكن أن تبدأ بشكلٍ سري مباشرةً بعد أن تبدأ الثورة الملونة لكي تعمل كعاملٍ مُضَاعِفٍ للقوة، ومن ثم تشتد حملة الحرب الغير تقليدية إلى أن يتم إسقاط الحكومة المُستهدَفة. ولكن إذا فشلت الثورة الملونة، فستتحول الحرب الغير تقليدية علانيةً إلى مرحلة التمرد، وتبدأ في التركيز على أساليب الفتك الشديد. تتبع الحروب الغير تقليدية أساساً من الثورة الملونة، التي هي في حد ذاتها بذرةٌ مزروعةٌ بشكل

استراتيجي لتبرير نمو "نضال التحرر الديمقراطي" كما هو شائعٌ عبر وسائل الإعلام الغربية لتضليل الرأي العام.

نقصد في هذا الكتاب بالحروب الغير تقليدية أيُّ شكلٍ من أشكال الحرب اللاتقليدية، بما في ذلك قتال العصابات والتمرد الحضري والتخريب والإرهاب (الحروب الغير نظامية). وتختص الحروب الغير تقليدية باشتمالها على المقاتلين غير التقليديين مثل المرتزقة وغيرهم من الفاعلين المستقلين عن الجهات الحكومية، فضلاً عن عناصر القوات الخاصة النظامية. وهي لا تشتمل على الدبابات، والمجندين النظاميين، وخطوط المعارك الواضحة، مما يجعلها لا خطية وفوضوية للغاية، وغالباً ما تهاجم العدو بطريقةٍ غير مباشرة. وتمثل هذه الحرب الجانب الملموس، فيما تمثل "الثورات الملونة" الجوانب الغير ملموسة من الفوضى الموجّهة والمسلّحة بقصد تحقيق تغيير النظام.

الفصل الثاني: التاريخ والمزايا

إن الولايات المتحدة لها تاريخٌ طويلٌ من الانخراط في حملات الحروب الغير تقليدية. وقد نشط مكتب الخدمات الاستراتيجية –اسم وكالة الاستخبارات المركزية قديماً– في الهند وميانمار والصين لإثارة حركات حروب العصابات المناهضة لليابان خلال الحرب العالمية الثانية. وخلال الحرب الباردة، أخذت وكالة المخابرات المركزية على عاتقها محاولة الإطاحة بأكثر من ٥٠ حكومةٍ وطنيةٍ، على الرغم من أن الولايات المتحدة قد اعترفت بنجاحها في سبعة منها فقط. وشملت بعض هذه المحاولات حروباً غير تقليدية، مثل الحرب السريّة التي خاضتها وكالة الاستخبارات المركزية خلال تدريبها للقوات شبه العسكرية التبتية أثناء قتالها ضد الشيوعيين الصينيين.

خلال الثمانينات، شهد العالم تزايداً كبيراً في توظيف الولايات المتحدة لاستراتيجيات الحروب الغير تقليدية، وذلك بعد أن اعتمدت عقيدة ريغان. حيث دعمت واشنطن تمرداً عنيفاً ضد الشيوعية في أنغولا وإثيوبيا وأفغانستان ونيكاراغوا. لقد أعطى التعامل

الناجح مع العديد من الحروب الغير تقليدية في وقتٍ واحد عبر أنحاء العالم خبرةً لا تُقدّر بثمن للولايات المتحدة لإتقان هذه الاستراتيجية التي تمارسها حالياً في سوريا.

تتمتع الحرب الغير تقليدية بمزايا معينة تجعل منها أداةً جذابةً لتحقيق أهداف السياسة الخارجية وهي:

- إنها استراتيجية غير مباشرة لتغيير النظام، ويمكن أن تكون مفيدةً ضد الدول المُستهدَفة حيث لا تستطيع الولايات المتحدة التدخل بشكلٍ مباشر – كما حدث في العراق ٢٠٠٣ – لأي سببٍ كان سياسياً أو عسكرياً أو التوجه السياسي السائد في النظام الدولي...
- لأنها حرب بالوكالة غير مباشرة فإن الولايات المتحدة تُعفى من المسؤولية المباشرة لأي أفعال (بما في ذلك جرائم الحرب) التي ينفذها حلفاؤها أثناء النزاع.
- كما أن دعم مجموعات الوكلاء أرخص وأكثر توفيراً من إرسال الجيش الأمريكي النظامي. فمن الممكن للولايات المتحدة أن تنجز هدفاً بواسطة الحرب الغير تقليدية بجزءٍ بسيطٍ من التكلفة، مقارنةً بتدخلٍ تقليديٍ مكلفٍ لغرض تحقيق نفس الهدف.
- تعتبر الحرب الغير تقليدية مثالًا نموذجياً عن الفوضى المسلّحة، وعلى هذا النحو فإنها تمنح الممارس زمام المبادرة الاستراتيجية خلال النزاع.
-

الفصل الثالث: صعود الجهات الفاعلة التي لا تتبع للحكومات والقوات الخاصة

أدت نهاية الحرب الباردة إلى حدوث تغيير جذري في الجهات المؤثرة في البيئة الدولية. فخلال تسعينات القرن الماضي، ازداد دور الجهات الفاعلة غير الحكومية بسرعة وانخفض دور الدول القومية. كتب جهانجير أراسلي من معهد الشرق الأدنى والخليج للتحليل العسكري – مقره في دبي – بأن نهاية الحرب الباردة أسفرت عن "ظهور مجموعاتٍ متعددةٍ ومتنوعةٍ من الجهات الفاعلة العنيفة المُندفِعة، يقويها تأثير العولمة وتناقص دور الدول، وتعززها الإيديولوجيات المتطرفة، والتمويل وتقنيات

المصادر المفتوحة"، مما أدى إلى انتشار الحروب غير المتكافئة في صراعات القرن الحادي والعشرين. **من أجل التبسيط، فإن مصطلح الحرب الغير متكافئة والحرب الغير تقليدية تستخدم بالتبادل ضمن هذا الكتاب.**

إلى جانب الحركات المناهضة للحكومة، فإن بعض الأطراف الغير حكومية الأكثر نفوذاً – والتي ارتفعت إلى الشهرة العالمية – هي عبارة عن عناصر إرهابيةٍ ومرتزقة. يجب أن يكون القارئ على دراية بمساهمات وتأثيرات الإرهاب في العلاقات الدولية، حيث أن هجمات الحادي عشر من سبتمبر وفرت الذريعة للولايات المتحدة لشن الحرب العالمية على الإرهاب والقيام بتدخلاتٍ عسكريةٍ هجوميةٍ في جميع أنحاء العالم، بيد أن تأثير المرتزقة كان أكثر خفاءً على الرأي العام إلى حدٍ كبير، حيث كتب نيكولاي ديو غونديرسين لمجلة الحروب الصغرى (Small Wars Journal) أن الشركات العسكرية الخاصة والمتعاقدين الأمنيين الخاصين (المؤسسات القانونية التي تبيع خدمات المرتزقة) شهدت نمواً هائلاً بعد الحرب الباردة. وكما توضح حادثة إطلاق النار من قبل "بلاك ووتر" في بغداد، يمكن لهذه الجماعات أن تتصرف بشكلٍ وحشيٍ أحياناً وتشترك في مذبحةٍ هائلة. ومع ذلك، عدا عن هذه الحادثة، لم يتم توجيه اهتمامٍ عامٍ كبيرٍ إلى شركات المرتزقة، رغم استخدامها بنشاط في اثنين من أهم الصراعات في العالم، هما سوريا وأوكرانيا.

في كلتا مناطق النزاع، تم ربط جميع الفئات الثلاث المذكورة أعلاه من الجهات الفاعلة غير الحكومية (الحركات المناهضة للحكومة والإرهابيين والمرتزقة) معاً في نفس الشبكة. ففي سوريا يحارب المتظاهرون المناهضون للحكومة الذين شرعوا في الثورة الملونة من أجل تحقيق هدف تغيير النظام، متفقين بذلك مع هدف الحركات المسلحة الغير رسمية، وفي بعض الأحيان ربما اتحدوا معها. ومع أن الوضع يبدو مختلفاً بعض الشيء في أوكرانيا، لكن النمط المُتّبَع هو نفسه. وبحسب ما ورد من تقارير، فقد تم تدريب بعض أعضاء ثورة الميدان الأوروبي في بولندا قبل حدوث زعزعة الاستقرار، وتم تنسيق النشاط العنيف للحركة بواسطة القطاع الأيمن اليميني المتطرف ولكن الفعال للغاية، والذي أصبح معروفاً بتكتيكه الإرهابي المتمثل في

رمي الأجهزة المتفجرة على ضباط فرض القانون. إن الصلة بين الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية وأهداف تغيير النظام للولايات المتحدة والجهات الفاعلة غير الحكومية توفر دليلاً أكثر تأكيداً على صحة نظرية الحرب الهجينة.

وفوق ذلك كله، تمضي الولايات المتحدة لتتحول تدريجياً من الاعتماد على القوى التقليدية الضخمة نحو جيوش أكثر خفةً وحركةً، مع التركيز الشديد على القوات الخاصة. هذا جزء من التحول الأساسي المرتبط باستراتيجية قُدّ من بعيد. يقوم البنتاغون في الواقع بتخفيض الجيش إلى مستويات ما قبل الحرب العالمية الثانية بينما يضخ المزيد من الموارد لتعزيز قواته الخاصة والقدرات الاستخباراتية وتوظيف شركاتٍ عسكريةٍ خاصة أكثر من أي وقت مضى. وهكذا تضع الولايات المتحدة نفسها في وضعٍ يُمكّنها فيه من شن الحروب الهجينة بشكلٍ أكثر فعاليةً في المستقبل.

الفصل الرابع: استراتيجية الحروب الغير تقليدية

مثل نظيرتها الاجتماعية المتمثلة بالثورة الملونة، تتبع الحروب الغير تقليدية استراتيجياتٍ معينةٍ من أجل إنجاح أقصى قدرٍ من جهودها في تغيير النظام. سنقوم في الأقسام الفرعية التالية بمراجعة النظريات العسكرية التي تمت مناقشتها سابقاً، وتكييفها لتخصصات الحروب الغير تقليدية.

أولا: الحلقات الخمس

تشكل الحلقات الخمس لجون واردن الأساس لاستراتيجية الحرب الغير تقليدية بأكملها. في الواقع، تتمتع الحلقات الخمس بقابلية للتطبيق مباشرةً على الحروب الغير تقليدية أكثر من الثورات الملونة لأن هذا المفهوم يمكن استخدامه في شكله الخالص دون أي تعديل. فمجموعات المتمردين والعصابات مناسبةٌ تماماً لمهاجمة أساسيات النظام والبنية التحتية والسكان دون كشف أنفسهم، ومن ثم التفرق بين

المدنيين أو الاختفاء في الريف. وهذه المجموعات يمكن أن تؤدي إلى زيادة ضبابية الخط الفاصل بين المدنيين والعسكريين، مما يزيد من صعوبة كشفها من قبل السلطات، وبالتالي السماح لها بالاقتراب من أهدافها المقصودة. يمكن لممارسي الحرب الغير تقليدية أن يكونوا "في كل مكان وفي لا مكان" في آنٍ واحد، مما يعني نظرياً أنه يمكنهم أن يمثلوا تهديداً لكل واحدةٍ من الحلقات الخمس في نفس الوقت.

وكما ذكرنا سابقاً فإن الهجوم على الحلقات الثلاثة الداخلية أكثر سهولةً من البقية، حيث أن المحاربين غير التقليديين غير مناسبين لمواجهة الجيوش بشكلٍ مباشرٍ ومتكررٍ، ولا تسنح لهم الفرص كثيراً لاغتيال القادة العسكريين أو السياسيين. ومن المؤكد أن المعارك مع الجيش تحدث عندما تحاول مجموعة غير تقليدية مسك الأراضي والاحتفاظ بها، ولكن هذا ليس تخصّصها، فهذا الأمر مرتبطٌ أكثر بالحروب التقليدية، وعلى الرغم من أنه لا تسنح الفرص لهم كثيراً لمهاجمة قادة المؤسسة الحاكمة، فمن الممكن أن يرهبوا القادة المدنيين بشكلٍ كبير.

ثانيا: المقاربة الغير مباشرة وحلقة OODA

تحتل المقاربة الغير مباشرة مكانةً مهمةً ضمن عقيدة الحروب الغير تقليدية. بالطريقة التي تدير بها الولايات المتحدة الحرب الغير تقليدية فإنها تستخدم قوى عميلة فاعلة غير تابعة لجهة حكومية لتنفيذ تعليماتها في دولٍ مختارةٍ، وهذا يعني أن هناك درجة إضافية من التأثير الغير مباشر الذي يتم الاضطلاع به.

الدول الأخرى قادرةٌ على القيام مباشرةً بحرب غير تقليدية في ظروفٍ معينة، ولكنّنا لن نتطرق إلى هذه الحالات في سياق هذا الكتاب، لأن حديثنا هنا سيكون حول: "الدول التي تكون في وضع دفاعي في حرب غير نظامية تشن من قبل لاعبين (أو أطراف) غير تقليديين (ليسوا دولا)، ومقادة عن بعد بواسطة الولايات المتحدة". في معظم الأحيان لا يمتلك من يمارس الحرب الغير تقليدية مباشرةً –لطبيعة التكتيكات التي يستخدمونها– القدرات التقليدية لتحقيق أهدافهم بشكلٍ مباشر. فعلى سبيل المثال، قد لا يكونون قادرين على تسيير أرتالٍ من الجنود إلى مدينةٍ قبل مهاجمتها.

بيد أن ما يمكنهم فعله هو دفع عناصرهم للتسلل إلى المدينة بين المواطنين، ثم "تنشيطهم" من الداخل عندما يكون الوقت مناسباً. وقد تم استخدام هذه الاستراتيجية من قبل الشيوعيين الفيتناميين بنجاحٍ باهر وذلك قبل هجوم تيت عام ١٩٦٨[٥٣]. فبدلاً من شنّ هجومٍ تقليدي لتدمير البنية التحتية الحيوية مثل محطات توليد الطاقة، يمكن استخدام الهجمات الإرهابية لإخراجها من الخدمة عوضاً عن تدميرها. وكمزية للضعيف في مواجهة السلطات، يمكن للحركة المناهضة للحكومة نصب كمينٍ لضباط الشرطة واحتجاز العشرات منهم كرهائن بغرض تصعيد الضغط وزيادة فرص تحقيق مطالبهم السياسية.

بشكلٍ عام هناك أعدادٌ لا حصر لها من الطرق التي يمكن أن يعمل عليها ممارسو الحروب الغير تقليدية بطريقةٍ غير مباشرة في تعزيز أهدافهم. الشيء الأساسي الذي يجب أن نتذكره هو أن الحرب الغير تقليدية والحرب الغير مباشرة شيءٌ واحدٌ ولا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض. **على الرغم من أن الحرب الغير تقليدية تتضمن أحياناً أساليب تقليدية، إلا أنها تبقى غير تقليدية في جوهرها. إنها لا خَطيّة، وتُعتبَر ديناميكيةً وفوضويةً، وتقدم مزيجاً متغيراً دوماً من التكتيكات المُصمّمة لإخلال توازن السلطات.** وكما ذُكر في الفصل الأول، فإن هذه المقاربة تعطل حلقة اتخاذ القرار OODA للمُستهدَف، مما يؤدي إلى استجاباتٍ مرتجلةٍ أو سيئة التخطيط أو إلى تأجيل الاستجابات الصحيحة إلى الوقت الذي تفقد فيها فعاليتها.

ومن ثم فإن المقاربة الغير مباشرة (الحرب الغير تقليدية) هي وسيلة لتحييد حلقة OODA وإصابة المدافع بالشلل، مما سيتركهم عرضةً لمختلف الهجمات التي قد لا يفيق منها المُستهدَف.

[٥٣] هجوم تيت هو هجوم شنه الشيوعيون الفيتناميون التابعون للجنرال جياب على القوات والقواعد الأمريكية، حيث هاجم الثوار الفيتناميون أكثر من ١٠٠ موقع وبلدة ومدينة في فيتنام الجنوبية بين ٢٩ – ٣١ كانون الثاني ١٩٦٨ مما أدى إلى وقوع خسائر أمريكية كبيرة، نتج عن هذا الهجوم اتخاذ القيادة الأمريكية قرار فتنمة الحرب "أي تحويلها لحرب بين الفيتناميين".

ثالثا: حرب الشبكات والأسراب

أيضاً، تستغل الحروب الغير تقليدية ظواهر الحرب الشبكية وأسراب الاجتياح. فيما يتعلق بالأول، فإنها تستفيد من التواصل عبر الشبكات الاجتماعية لتجنيد مقاتليها ونشر رسالتها. يمكن أن يتجسد هذا في استخدام تنظيم الدولة لتويتر لاكتساب منضمين جدد وللترويج عن انتصاراته، أو كتشجيع القطاع الأيمن للمسلحين الشيشانيين على التعاون معهم وتنفيذ هجمات داخل روسيا. لقد كان تنظيم الدولة فعالاً جداً في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي؛ فعلى سبيل المثال، صرح رئيس الاستخبارات الهولندية بأن التنظيم صنع "أسراباً إرهابيةً" يقودها "الاتصال الأفقي" بين أعضائه.[٥٤]

كما يمكن لمجموعات الحرب الغير تقليدية اختيار أعضائها من الشبكات التي أنشأتها حركة الثورة الملونة. قد يتعرض هؤلاء الذين ذُهِلوا من تقدم الثورة الملونة للإغراء أو لمحاولات الإقناع بالانضمام إلى المسلحين لقتال الحكومة، مما يكشف عن اتصالٍ مباشرٍ بين الأفراد الناشطين في الثورة الملونة والمقاتلين في الحرب الغير تقليدية. يعتبر هذا الانتقال بين الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية أحد الصفات الرئيسية في الحرب الهجينة ويجب أن يضعها القارئ في ذهنه لدى قراءته للكتاب.

بالنسبة إلى الأسراب، تعد هذه إحدى التكتيكات الأساسية التي تستخدمها المجموعات الغير تقليدية في الحرب. يكتب العقيد آلان كامبين عن هذا في مقالته لعام ٢٠٠١ "تحدي هجمات الأسراب للطريقة الغربية في الحرب". ويصفها بوضوح كما يلي:

تتميز اشتباكات الأسراب بموجاتٍ هجومية من جميع الجهات من قبل خصم غالباً ما يكون أضعف ولكنه مراوغ. ويعود سرّ نجاحها لعدة عناصر تكتيكية مثل الأهداف المحدودة، والأسلحة المناسبة والاتصالات، والتكتيكات المصمّمة للتضاريس

---

[٥٤] أجرت قناة سي بي أس لقاءً مع رئيس الاستخبارات الهولندية روب بيرتولي، صرح في اللقاء أن وسائل التواصل الاجتماعي ساعدت على تجنيد أنصارٍ لتنظيم الدولة عبر الإنترنت، وأن وسائل التواصل الاجتماعي ساعدت على توجيههم نحو تنفيذ عملياتٍ معينة من دون الحاجة لتلقي أوامر عبر تسلسل هرمي قيادي، بل عبر التشاور والتخطيط بين الأنصار (تسلسل أفقي)، مما ساعد على تكوين ما أسماه بالأسراب، التي تتوجه نحو أهداف معينة من اختيارها الخاص دون الحاجة لتوجيه من قيادة عليا.

الأرضية، والوعي المتفوق بالأوضاع المحيطة. وهذا يمكّن الأسراب من هزيمة قوات العدو المتفرقة كلٌ على حدة، التي لا يمكن أبداً التغلب عليها وهي مجتمعةٌ بالحشود أو بالمناورة. ويؤكد بعض المحللين أن التآزر بين هذه العناصر يشكل عاملاً ثابتاً في كل من التطبيق التكتيكي والاستراتيجي لأسراب الاجتياح في فترة ما قبل الحرب الباردة وخلالها وبعدها كذلك. لا يتطلب أيٌ من هذه العناصر بالضرورة أحدث التقنيات. يكفي تركيب أيٌ منها ضمن تكتيكٍ فعالٍ محددٍ لمواجهة جيشٍ ميكانيكي حديث في صراعٍ منخفض الشدة وحرب غير تقليدية.

كما أنه يشير إلى تعليق اللواء روبرت سكاليس الابن بأنها طريقة "للأعداء المتكيفين لتحقيق النصر من خلال تجنب الهزيمة". هذا هو جوهر تطبيق الحرب الغير تقليدية لنموذج الأسراب. **الهدف التكتيكي هو الارتجال بالهجمات بطريقة غير مباشرة وغير متوقعة، والاستفادة من المبادرة الاستراتيجية وإرباك العدو**. يمكن للتناوب بين الاحتشاد في أسراب وبين الانتشار "مثل النبضات"، والهدف أن يبقي الهجوم مستمراً لفترةٍ أطول مما لو تم تنفيذ الهجمات وجهاً لوجه، وفي نفس الوقت يمكن أن يؤدي التحول بين الأهداف عبر الحلقات الخمس إلى دفع قيادة العدو نحو مزيدٍ من الفوضى. ولا تنجح الحرب الغير تقليدية بالأسلوب العسكري النظامي (بمعنى تدمير وحدات العدو)؛ بل تنجح بتعطيل العدو وإبقائه فاقداً للتوازن باستمرار إلى أن تتاح فرصة كبرى لتوجيه ضربةٍ حاسمة. وبكلامٍ آخر، طالما أن أعضاء الحرب الغير تقليدية يمكنهم باستمرار تجنب الهزيمة، يمكن تحقيق النصر في نهاية المطاف، وبالتالي قد تكون الحرب الغير تقليدية عمليةً طويلةً وممتدةً تستغرق سنواتٍ عديدة أكثر من الصراعات التقليدية.

رابعا: نظرية الفوضى

الحرب الغير تقليدية مثل الثورات الملونة، تتلخص في تسليح نظرية الفوضى، حيث تهاجم الحروب الغير تقليدية الأدوات المادية للدولة خلال حملتها، وتجري هذا الأمر بطريقة غير مباشرة ومن خلال مقاربةٍ لا خطية، كما سبق أن ناقشناه. وتزداد الفوضى بعد الثورة الملونة من خلال وجود مجموعاتٍ مسلحةٍ مخصّصةٍ للإطاحة

بالدولة. هذا يعزز عامل الخوف الذي يتغلغل في المجتمع ويساهم في نشر الشكوك بشكلٍ شمولي، مع تحقيق الهدف النهائي المتمثل في إرباك حلقة OODA وإصابة العدو بالشلل.

إذا كان من الممكن تشبيه المجتمع والدولة كسلحفاةٍ محصنة، فإن نظرية الحرب الغير تقليدية ونظرية الفوضى تقلبان تلك السلاحف على ظهرها وتشلّاها بشكلٍ فعال، وتعرّضا نقاط ضعفها لخطر هجماتٍ مدمرةٍ لم تكن ممكنةً من دونهما. بمجرد انقلابها على ظهرها، تُقتَل السلحفاة مباشرةً. وينطبق الشيء نفسه على المجتمع والدولة، فإذا كانت الحرب الغير تقليدية قادرةً على إلقاء المجتمع والدولة في مثل هذه الاضطرابات الفوضوية "لتنقلب على ظهرها"، فعندئذ يمكن أن ينطلق الانقلاب بسرعةٍ خاطفة، مع احتماليةٍ كبيرةٍ للنجاح. كان هذا هو الحال مع الحرب الغير تقليدية خلال انقلاب الميدان الأوروبي. وصلت نشاطات العنف غير الحكومية (حرب غير تقليدية على نطاقٍ صغير) إلى مثل هذه الدرجة من الاستفزاز، حتى أنها غلبت قدرة حكومة يانوكوفيتش على التحمل، مما سمح بوقوع أخطاءٍ استراتيجية بلغت ذروتها في انقلاب ٢١ فبراير بعد اتفاق التسوية الموقع على عجل.

الفصل الخامس: الدليل الميداني للحروب الغير تقليدية

وكما أن "الثورات الملونة" لها دليلها الميداني في كتابات جين شارب، فإن الحروب الغير تقليدية لها دليلٌ ميداني أيضاً، وهي وثيقة التدريب السريّة للجيش الأمريكي "القوات الخاصة في الحروب الغير تقليدية". تم تسريب هذه الوثيقة المعروفة أيضاً باسم TC (منهاج تدريبي) 01- 18 بواسطة أحد المخبرين، ونُشرت في الأخير على موقع (NSNBC) الدولي أوائل عام ٢٠١٢. ولاحظ الموقع أن وثيقة TC 18-01 توفر "تطويراً منتظماً خطوة بخطوة للتمرد ومحاولة تخريب الحكومة السورية بشكلٍ منهجي" نظراً لتعليماتها التفصيلية في كيفية إثارة انتفاضة مسلحة وتنظيمها.

وإلى جانب تقديم المشورة التكتيكية في كيفية إدارة الحروب الغير تقليدية، تضمنت الوثيقة أيضاً نظرةً عامةً عن الموقف الرسمي للولايات المتحدة تجاه هذه الاستراتيجية، حيث تنص على أن هناك شكلان من أشكال الحروب الغير تقليدية، أحدهما يُتوقَّع أن تتدخل فيه الولايات المتحدة بشكلٍ رسمي في نهاية المطاف ("سيناريو الحرب العامة") والآخر لا يُتوقَّع أن تتدخل فيه بشكلٍ رسمي ("سيناريو الحرب المحدودة"). ربما ينطبق الأول على الأزمة السورية، وخاصةً قبل حادث الأسلحة الكيميائية في أغسطس ٢٠١٣ وما تلاها من ارتدادات دبلوماسية، في حين كان الأخير هو السيناريو بالنسبة لأوكرانيا. يتم تنفيذ سيناريوهات الحرب العامة من أجل إعداد ساحة المعركة للتدخل الأمريكي التقليدي أو من أجل إشغال قوات العدو، في حين أن سيناريو الحرب المحدودة يتفهّم المعوقات المؤسسية ويسعى فقط للضغط على الخصم بدرجاتٍ مختلفة (وصولاً إلى تغيير نظام الحكم).

على سبيل المثال، يذكر الدليلُ الحروبَ العالمية الثانية التي جرت على مسارح أوروبا والمحيط الهادئ، وكذلك حرب العراق من ٢٠٠٢-٢٠٠٣ كسيناريوهات حربٍ عامة تضمنت بوادر حروب غير تقليدية، في حين أن حروب التبت من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٦٥ وأفغانستان في الثمانينيات من القرن العشرين هي وقائع حروبٍ غير تقليدية مع تدخلٍ أمريكي محدود. إن هذه الفئة هي التي ستتم دراستها بشكل أكثر شمولاً في الفقرات القادمة، حيث أنها تتبع النظرية التي طُرِحت أصلاً في المقدمة وهي: "كلما اقتربت عمليات زعزعة الاستقرار الأمريكية من المراكز (النوى) المُستهدَفة (روسيا، إيران، الصين)، انخفضت احتمالية تطبيق الحرب المباشرة وزادت فرص استخدام الوسائل الغير مباشرة (الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية)". وتكييفاً للمعلومات التي تم استخلاصها للتو من الدليل TC 18-01، يمكن اعتبار أن عمليات تغيير النظام في مجال تأثير ونفوذ روسيا (مثل أوكرانيا) تتم عبر "سيناريو الحرب المحدودة" والحرب الغير تقليدية للحيلولة دون تدخل القوات الأمريكية التقليدية.

أولا: التحضير للحروب الغير تقليدية

عند الاستعداد لحربٍ غير تقليدية ضد الدولةٍ المُستهدَفة، تقوم الولايات المتحدة عادةً بإجراء دراسة جدوى للتأكد من احتمال نجاح العملية. ويمكنها القيام بذلك إما عن طريق مقابلة ممثلي المعارضة أثناء سفرهم إلى الولايات المتحدة أو إلى دولةٍ أخرى كطرف ثالث، أو حتى بإرسال خبيرٍ عسكري مباشرةً إلى الميدان. وبمجردِ اتخاذ القرار بخوض حربٍ غير تقليدية في المستقبل، يمكن للولايات المتحدة "تقديم الدعم من خلال شريكٍ في التحالف أو عن طريق موقع بلدٍ ثالث" عندما "لا ترغب في تقديم الدعم علانيةً" (وهي استراتيجية قُدّ من بعيد).

لمزج الدروس التي نوقشت في الفصل السابق عن "الثورات الملونة" مع "الحروب الغير تقليدية"، يتحدث الدليل الأمريكي عن "أنشطة المعلومات التي تزيد من السخط الشعبي ضد النظام المعادي أو المحتل، وتصور المقاومة كبدائل مشروعة وقابلة للتطبيق، وهذه الأنشطة تُعتبَر هامةً لنجاح جهود المقاومة". يلاحظ أن "هذه الأنشطة يمكن أن تزيد من دعم المقاومة من خلال الرسائل المقنعة التي تثير تعاطف المدنيين". علاوةً على ذلك، يتحدث الدليل TC 18-01 عن كيفية قيام عمليات دعم الاعلام العسكري[٥٥] (MISO) بما يلي:

- تحديد العوامل النفسية الرئيسية للشعب في مسرح العمليات.
- تحديد الإجراءات ذات التأثيرات النفسية التي يمكن أن تخلق السلوكيات المرغوبة أو تغيرها أو تعززها لدى المجموعات أو الأفراد المُستهدَفة.
- تشكيل التصورات الشعبية فيما يدعم أهداف الحرب الغير تقليدية.
- مكافحة معلومات العدو المضلّلة والخاطئة التي يمكن أن تقوض مهمة الحرب الغير تقليدية.

[٥٥] هي تسمية أخرى للعمليات النفسية في الجيش الأمريكي.

وكما لاحظنا، فإن الأبحاث النفسية والاجتماعية تساعد حملات الحروب الغير تقليدية على صياغة الخطط المناسبة وإنجاحها، تماماً مثلما تفعل الثورات الملونة، ويمثل الفن غير الملموس لإدارة الإدراك جزءاً أساسياً من هذا الأمر.

تُحدّد سبعة متغيراتٍ رئيسية نجاح الحرب الغير تقليدية وهي: القيادة، والأيديولوجية، الأهداف، البيئة والجغرافيا (بما في ذلك الاجتماعية)، الدعم الخارجي، المراحل والتوقيت، والأنماط التنظيمية والعملياتية. يمكن تعديل كل هذه العوامل باستثناء البيئة والجغرافيا. ومن المهم أن تكون كل هذه المتغيرات على ما يرام قبل بدء الحرب الغير تقليدية، لأنه كما كتب ستيفن مان لدى حديثه عن نظرية الفوضى والفكر الاستراتيجي، فإن "مثل هذه الأنظمة "الفوضوية" (يعني الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية) تعتمد بشكل كبير وحساس الظروف؛ بحيث إذا طرأ تغير طفيف في أي من المدخلات الأولية فإن ذلك سيؤدي إلى نتائج مختلفةٍ تماماً".

إذا كان توقيت الثورة الملونة (وبالتالي، الحرب الغير تقليدية التي تلحقها) غير صحيح، عندها يمكن أن ينتهي المسعى بأكمله بالفشل، كما حدث في محاولات تغيير النظام في بيلاروسيا وأوزبكستان. هذا يؤكد على ضرورة مواصلة استكشاف مراحل وتوقيت الحرب الغير تقليدية.

ثانيا: شن الحروب الغير تقليدية

يمكن تقسيم مراحل وتوقيت الحرب الغير تقليدية إلى ثلاث مراحل: المرحلة الكامنة أو الأولية وحرب العصابات وحرب الحركة. المرحلة الأولى مهمةٌ جداً وتتعامل مباشرةً مع الفقرة السباقة حول صياغة الظروف الأولية لجعلها مثالية. كما يجب أن يكون القارئ قادراً على تحديد التداخل بين الثورات الملونة والعمليات النفسية للحرب الغير تقليدية المبينة في الدليل TC 18-01:

"خلال هذه المرحلة، تقوم قيادة المقاومة بتطوير البنية التحتية السريّة الداعمة التي سترتكز عليها جميع الجهود المستقبلية. فيما يقوم تنظيم المقاومة باستخدام مجموعةٍ متنوعةٍ من الأساليب التخريبية لإعداد السكان نفسياً للمقاومة. وتشمل بعض

الأساليب: الدعاية والمظاهرات والإضرابات والتخريب. وكثيراً ما تحدث الأنشطة التخريبية في نمطٍ منظمٍ دون أي تفشٍ واسعٍ للعنف المسلح ... والهدف من ذلك هو إعداد السكان أو تحويلهم للقبول بالعمليات العسكرية الصريحة (حرب العصابات). كذلك من أهداف هذه الأنشطة كسب دعم السكان المحليين وإضعاف سلطة الحكومة القائمة. وعلى الرغم من أن الهدف العملياتي هو كسب الدعم الشعبي، فإن الهدف التكتيكي هو إقناع السكان المحليين بتجنب التعاون مع القوات الحكومية".

كما تتعامل المرحلة الأولية مع المقاومة العلنية والسرية، بحيث تضم الأولى المقاتلين الذين سيشنون الحرب مباشرة ضد الحكومة، في حين أن الثانية تضم أفراداً ومجموعات تقوم بالعمل السياسي السريّ، ونشر الدعاية، والتجسس، والاشتراك في عمليات التخريب والتهريب، وجمع المعلومات الاستخبارية لدعم الحركة المناهضة للحكومة. ويمكن زرع هذه الكيانات بشكل استباقي خلال المرحلة التنظيمية الأولى للثورة الملونة.

تتطلب المرحلة الثانية، وهي حرب العصابات، حدثاً خارجياً يساعدها في تحريك نفسها والانتشار عبر جميع السكان بالزخم اللازم. من المعلوم أنه لغرض البدء بحربٍ غير تقليدية بنجاح، وبهدف تجنيد أكبر عددٍ ممكنٍ من الناس، "يجب أن تكون هناك شرارةٌ تشعل العصيان، مثل حدثٍ مُستفِز يشعل الدعم الشعبي ضد سلطة الحكومة، بالإضافة إلى قيادة تمردٍ دينامية قادرة على استغلال الوضع ". هذه "الشرارة" – كما يطلق عليها – يتم تحديدها من قبل نظرية الحرب الهجينة على أنها ثورة ملونة. وبمساعدة الشبكات – التي تم بناؤها قبل هذا الحدث– تحفّز هذه الشرارة الشرائح الاستراتيجية من الشعب ضد السلطات وتزيد من اندفاعها واستمراريتها نحو تغيير النظام.

بمجرد أن ينطلق العصيان المسلح (سواء كان ذلك بسبب فشل الثورة الملونة، أو لاستفزاز السلطات ليدافعوا عن أنفسهم بقوة... إلخ) يبدأ الانتقال إلى حرب العصابات. ويمكن أن يحدث هذا إما في المناطق الحضرية أو الريفية. لم تخض أوكرانيا سوى حرب عصاباتٍ صغيرة النطاق في المناطق الحضرية خلال حملة

"الميدان الأوروبي"، فيما لا تزال سوريا تمر في الوقت الراهن بحرب عصاباتٍ عنيفة في المناطق الحضرية والريفية. وكما يذكر الدليل "الهدف من هذه المرحلة هو تحطيم جهاز الأمن الحكومي (عناصر الجيش والشرطة التابعة للسلطة الوطنية) إلى درجةٍ تكون فيها الحكومة عرضةً للهزيمة". ويمكن أن يحدث هذا من خلال زيادة التخريب، والهجمات الاستراتيجية ضد القوات الحكومية والبنية التحتية، والتواصل والتوعية الاستراتيجية لعامة الشعب (أي التوسع في البنية التحتية المعلوماتية التي تم إنشاؤها خلال الثورة الملونة)، ونشر الجهاز الاستخباراتي من قبل حركة المناهضة للحكومة. والهدف من كل ذلك، هو تمهيد الطريق للمرحلة الثالثة والأخيرة، وهي حرب الحركة.

المرحلة الثالثة هي ذروة الحرب الغير تقليدية، ولم يتم مشاهدتها في أوكرانيا. ومع ذلك، قد يظهر جدالٌ بأن الثوريين في الميدان الأوروبي كانوا يستعدون لهذه المرحلة، ولكن نتيجة "لقلب السلحفاة على ظهرها" في ٢١ شباط / فبراير، فقد تم الاستغناء عن هذه الطريقة. على أية حال، يذكر الدليل التدريبي TC 18-01 بأن هدف الحرب الحركية هو تقريب انهيار الحكومة القائمة. ولا يحتاج التمرد بالضرورة إلى التحول لجيشٍ تقليدي، ولكن يجب أن يضع نفسه في الوضع الملائم لهزيمة الحكومة أو قوات الاحتلال. على سبيل المثال، **قد يؤدي التمرد إلى إضعاف قدرات العدو إلى درجة أن الانتفاضة الحضرية ضد القصر الرئاسي ستؤدي إلى إسقاط الحكومة. إلا أن هذا التكتيك لا يمكن أن ينجح إلا إذا أزال التمرد الجيش أولاً**".

لقد سميت "بحرب الحركة" لأن المتمردين المناهضين للحكومة يسارعون في القتال ضد الحكومة "لتحرير" الشعب والأراضي التي يجب أن تُدار بعد ذلك، وإذا جاز التعبير، فإن المقاتلين "في حالة حركةٍ"، ويعملون بنشاطٍ عالٍ لإسقاط الحكومة. وفي هذه المرحلة قد يستخدمون بعض أساليب الجيوش التقليدية والأسلحة التي صادروها لغرض إنهاء الثورة بنجاح. غير أنه في حالة هزيمتهم، فقد تعود حرب الحركة للتقهقر إلى حرب العصابات، حتى يتعافى التمرد ويسترد قوته المادية ويكون قادراً على شن الهجوم المضاد الضروري لإعادة الصراع إلى مرحلة الحركة من جديد.

يجب أن تكون معالم الحرب الغير تقليدية في سوريا الآن معلومةً لجميع مراقبي العلاقات الدولية والأحداث الجارية، وبالتالي، ليس من الضروري تكرار هذه الحقائق. لكن ما هو غير معروف تماماً هو الحرب الغير تقليدية التي كان يتم إعدادها وتنفيذها جزئياً في أوكرانيا. فخلافاً للرأي العام الشائع لم تخض أوكرانيا ثورةً ملونة فحسب، بل كان فيها بعض العناصر من الحرب الغير تقليدية أثناء زعزعة الاستقرار في الميدان الأوروبي. بما أنه قد تم وصف "الحروب الغير تقليدية" في هذا الفصل، أصبح لدى القارئ الآن فهمٌ جديد وكاف لهذا الموضوع ليتم إرشاده من خلال الأحداث الرئيسية في الميدان الأوروبي التي لم تنل تغطيةً إخبارية كافية، والتي تُظهِر بوضوح الحرب الغير تقليدية في مراحلها التحضيرية المبكرة.

على عكس الثورات الملونة السابقة، كانت الثورة الأخيرة في أوكرانيا عنيفةً من البداية تقريباً، وهذا يدل على تأثير تكتيكات ثورات الربيع العربي الملونة على الأحداث في البلاد. وأول شيء يجب ذكره هي التكتيكات شبه الإرهابية للقطاع الأيمن وغيره من المتمردين الحضريين المسلحين خلال أعمال الشغب في الميدان الأوروبي، وذلك عندما بدؤوا بإلقاء قنابل مولوتوف على مجموعات فرض القانون في ١ من تشرين الأول، بعد عشرة أيام من بدء الاحتجاجات الأولية. وسرعان ما أصبحت هذه الروح القتالية هي الأساس، حيث استخدمت الجماعات المسلحة معسكراتها المؤقتة في الميدان كمقرٍ لإطلاق سيلٍ مستمرٍ من الهجمات على السلطات طوال فترة زعزعة الاستقرار. في نهاية المطاف أصبح معظم المشاركين في الميدان متمردين مسلحين مناهضين للحكومة.

غامر المصور الفوتوغرافي توم جيميسون في النزاع من أجل توثيق الأسلحة محلية الصنع التي استخدمها "المتظاهرون" بالصور، وصرّح بأن 'كل شخصٍ كان لديه هراوةً أو مضرب أو شيئاً من هذا القبيل ...لقد كان الوضع جنونياً." ولذلك، فإنه من الممكن التأكيد على أن طليعة المخربين العنيدين الراغبين في القتال ضد الحكومة –

وهي إحدى الشروط المسبقة الضرورية للحرب الغير تقليدية– قد تم تأسيسها في قلب العاصمة.



بعض من أسلحة المتظاهرين الأوكرانيين البدائية

ومع ذلك، فإن هذه التطورات بالإضافة إلى الروح القتالية المتصاعدة لحركة الميدان الأوروبي، قد تمت ملاحظتها وبثها من قبل بعض وسائل الإعلام الإخبارية. غير أن ما لم يحظ باهتمامٍ كبير هو الاستيلاء على المبنى الإداري في مدينة لفيف[٥٦] من قبل المتظاهرين المسلحين واستقالة حاكم تلك المنطقة في أواخر كانون الثاني ٢٠١٣. وبعد بضعة أيام من ذلك أفادت "إيه بي سي نيوز": "بأن كل مكاتب الحكومة المحلية في أوكرانيا الغربية تم احتلالها إلى حد كبير من قبل المعارضة، باستثناء منطقة ما وراء الكاربات".

[٥٦] مدينة لفيف هي عاصمة مقاطعة لفيف غربي أوكرانيا الحدودية مع بولندا.

ظل الوضع متوتراً ولكن بقي مستقراً حتى الفترة التي سبقت انقلاب ٢١ شباط / فبراير. ففي سلسلة من الأحداث السريعة للغاية، أعلنت حكومة مقاطعة لفوف الاستقلال في ١٩ شباط/ فبراير بالتزامن مع الاستيلاء على معبرٍ حدودي مع بولندا التي هي من دول الناتو. وفي نفس اليوم ذكرت وكالة رويترز أن بعض أفراد الشرطة هناك قد سُرِقت دروعهم الواقية فيما تم حرق سياراتهم، وأُضرِمت النيران في مركز الشرطة الرئيسي في مقاطعة تيرنوبول، وهُوجِمت إحدى مقرات جهاز أمن الدولة في مقاطعة خملنيتسكي، فيما ذكرت وكالات الأنباء بأنه مجرد "اضطراب". إن محاصرة قيادة المنطقة الغربية لوزارة الداخلية والقضاء عليها من قبل "المتظاهرين" العنيفين قبل أيامٍ قليلة حالت دون قيام الدولة بوقف العنف الذي شهدته المنطقة في ذلك اليوم.

من الأهمية بمكان أن إعلان الاستقلال وإعلان الحرب المناهضة للحكومة قد وقع في المنطقة الغربية من مدينة لفيف. وكانت تُعرَف سابقاً باسم غاليسيا، وهي مهد القومية الأوكرانية ولها حدودٌ بالغة الأهمية مع بولندا، دولة الناتو. وقد ذُكر في وقت سابق أن "شريك التحالف أو موقع بلد ثالث" يمكن أن يوجه المساعدات إلى المتمردين أثناء الحرب الغير تقليدية، ومع تحقيق بولندا لهذه المعايير البسيطة، فمن المحتمل جداً أن تكون الخطة في حالة بولندا هي أن يكون دور "تركيا السلافية" هو زعزعة الاستقرار من قبل حلف الناتو بهدف مواجهة أوكرانيا بنفس الطريقة التي اتبعتها تركيا مع سوريا.

إن إعلان الاستقلال من قبل لفيف، والاستيلاء على المعبر الحدودي، واستيلاء "المتمردين" على "وحدات الجيش ومستودعات الأسلحة"، والقضاء على السيطرة المركزية للحكومة على المنطقة الغربية بحكم الواقع يشير بوضوحٍ إلى بداية حملة حرب غير تقليدية.

في الواقع أصبح الوضع في غاية السوء في ذلك الوقت، حتى أن مجلة نيوزويك نشرت مقالاً في ٢٠ شباط تحت عنوان "أوكرانيا: العنوان للحرب الأهلية". وأشارت إلى أن "ما هو واضح هو أن أغلب البلد أصبحت خارج الحكم. حتى العاصمة بقيت

في أيدي المتمردين". ومن المثير للاهتمام أن هذه هي أول حالةٍ كبرى لمطبوعة إخبارية غربية تشير إلى المتمردين على أنهم "ثوار"، مما يدعم النظرية القائلة بأن سيناريو الحرب الغير تقليدية قد تم إعداده في أوكرانيا. ومع ذلك، تم تجنب هذا السيناريو بعد أن قامت حادثة نيران القناصة المشبوهة والقاتلة التي بدأت قبل بضعة أيام (والذي يعتقد وزير الخارجية الإستوني بقوة أنها كانت نتيجة أوامر من قادة متظاهري الميدان الأوربي أنفسهم) بكسر حلقة OODA وإرادة الحكومة وقادت بسرعة إلى أحداث الانقلاب في ٢١ شباط. ولو لم يحدث هذا الأمر، لكن من المحتمل جداً أن تكون هناك حرب غير تقليدية على وشك أن يتم طرحها رسمياً في أوكرانيا على غرار سوريا لفرض تغيير النظام وزعزعة استقرار الجناح الغربي الضعيف لروسيا.

الفصل السابع: خلاصة الباب

في الختام، تشكّل الحروب الغير تقليدية الدعامة الثانية والأخيرة لنظرية الحرب الهجينة. إنها تتطور بسلاسةٍ، فتبدأ أولا بالثورةِ الملونة وتبني على شبكة أفرادها المتواصلين. وتماماً مثل الثورات الملونة، فإن الحرب الغير تقليدية تعتمد أنماطاً معينة من النظريات العسكرية والاستراتيجية في العمل نحو تحقيق هدفها النهائي المتمثل في تغيير النظام. وتثبت الوثيقة TC 18-01 المسربة اعتماد الحروب الغير تقليدية على الشبكات الاجتماعية والإعلامية لكي تنجح. كما أنها توفر أكثر وصفٍ موثوقٍ ومفصلٍ حتى الآن حول كيفية تخطيط الحرب الغير تقليدية وإدارتها.

بعد الاطلاع على المستند والبحث عن الأخبار التي لم تتم تغطيتها بشكلٍ كافٍ عن أحداث أوكرانيا قبل الإطاحة بنظام يانوكوفيتش، يمكن للمرءِ أن يرى ظِلالًا واضحة "للحرب الغير تقليدية" في الانقلاب الأوكراني الأخير. وهذا يعتمد على الأدلة السابقة التي تمت مناقشتها للتحقق من صحة الحجة القائلة بأن الحرب الغير تقليدية هي المرحلة الثانية الأكثر فتكاً من تغيير النظام والتي تبدأ بالثورة الملونة. بالإضافة إلى

ذلك، شهدت كلٌ من سوريا وأوكرانيا المقاربة نفسها بالضبط، مما يدل على أنها قابلةٌ للنقل إلى مسارح مختلفة. وهكذا فإن الفصل الرابع سوف يربط كل التفاصيل الصغيرة الباقية بين الحالتين وينهي عملية ربط الثورات الملونة مع الحروب الغير تقليدية في إطار نظرية الحرب الهجينة الموحدة.

الباب الخامس: الجسر

أولا: المقدمة

يمكن النظر إلى هذا الفصل على أنه "الصمغ" الذي يلصق أجزاء نظرية الحرب الهجينة بعضها ببعض، كما أنه يجمع كل ما تعلمناه سابقاً عن الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية من أجل بناء الجسور فوق كل الفجوات المتبقية بين الاثنين، ويثبت الباب أن هناك سلاسةً في الانتقال من الأولى إلى الثانية ضمن سياق التفكير الاستراتيجي. وهو ما سيُبرهن أيضا أن هناك مقاربةً مدروسةً ومُنمّطة "ذات أسلوبٍ" تخضع لإرادةٍ معينة، بحيث تُصبحان معاً حزمةً موحدة تُدعى الحرب الهجينة. للوصول إلى هذه النتيجة، فإن هذا الباب سيكون تحليلاً مقارناً.

ثانيا: العلاقة الجيوسياسية

كلا رُكنَيّ الحرب الهجينة لهما علاقةٌ مباشرةٌ بالجغرافيا السياسية. وقد قدّم الفصل الأول فكرة منطقة بريجنسكي المتمثلة بالبلقان الأوراسي، والتي ترقى أساساً إلى تطبيق نظرية الفوضى في العلاقات الدولية. والغرض من ذلك هو الانخراط في تحطيم دولة ذات حكمٍ واقع أو دولةٍ شرعيةٍ ذات أهمية استراتيجيةٍ لزعزعة استقرار القوى العظمى الأوراسية (روسيا، الصين، إيران) وإطالة فترة تفوق الولايات المتحدة على القارة الكبرى (الأوراسية). يتمّ تفكيك الدول المستهدفة وتحييدها، باستخدام تكتيكات "الأرض المحروقة" الاجتماعية والمادية لإبقائها في حالةٍ انهيار أو قريبةٍ من الانهيار لفترةٍ طويلة بعد انتهاء حملة زعزعة الاستقرار. وستكون النتيجة هي تحويل الدول التي يطبق فيها زعزعة الاستقرار إلى ثقب جيوسياسي أسود مع ضمان استمرار الفوضى في هذه الدول والتي تعتبر وقود هذا الثقب الأسود الذي ستكون مهمته امتصاص جاذبية الدول الرئيسية والتي تعتبر الأهداف الغير مباشرة وبنفس الوقت هي الأهداف الحقيقة لحملة زعزعة الاستقرار.

سواء أكانوا متورطين سياسياً أو مادياً، فإن التأثير نفسه لن يتغير، فيجب على الدولة المتأثرة بشكلٍ غير مباشر الآن أن تتعامل بشكلٍ أو بآخرٍ مع التهديد غير المتكافئ لدولة شبه فاشلة على حدودها، بحيث ستكون تكاليف الفرصة البديلة أثناء القيام بذلك هو الحرمان من المبادرة الاستراتيجية في المجالات الجيوسياسية الأخرى. وفي الواقع، في "أفضل الحالات" التي يخطط لها الاستراتيجيون الأميركيون، تفشل عملية احتواء الثقب الأسود، ويتوسع فعلياً إلى الدولة المجاورة (الهدف الحقيقي كما ناقشنا)، مما يؤدي إلى:

١) زعزعة استقرار تلك الدولة بشكلٍ غير مباشر وذلك لصالح الولايات المتحدة.
٢) إطلاق فوضى تهدّد بتمزيق هذه الدولة المجاورة لا يمكن السيطرة عليها (بالشكل الأقوى والأكثر "طبيعية").
٣) عزل الدولة العظمى المُستهدَفة من اللعبة الجيوسياسية.

إن الطريقة الأكثر فعالية لتحقيق استراتيجية البلقان الأوراسي الكبرى هي عبر المقاربة الغير مباشرة للثورات الملونة والحروب الغير تقليدية. فكما ذكرت في المقدمة، فإن الانتقال نحو حالة تعدد الأقطاب فرض قيوداً معينة على قدرة الولايات المتحدة على التدخل بشكلٍ مباشر في أوراسيا حسب رغبتها، وهو ما زاد من جاذبية الأساليب الغير مباشرة وضرورتها.

لا يحتاج المرء إلا تذكّر النظرية التي أُدخِلت في هذا الوقت لرؤية النمط التالي بوضوح: "كلما اقتربت عمليات الولايات المتحدة لزعزعة الاستقرار من النوى المستهدفة (روسيا، إيران، الصين)، قلت احتمالية الحرب المباشرة وازدادت فرص تطبيق الوسائل الغير مباشرة (الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية). وبناءً على ذلك، عندما يأخذ المرء في الاعتبار الطبيعة الفوضوية المشفّرة في جينات الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية، فإنها تصبح أمثل الأدوات الغير مباشرة لبناء البلقان الأوراسي. ولا يمكن لأيّ استراتيجياتٍ أخرى أن تؤدي إلى نفس الدرجة من الفوضى البنّاءة / الإبداعية / المدارة التي يؤدي إليها هذين الاثنين.

ثالثا: الأدلة الميدانية

تمتلك كلٌ من الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية أدلةً ميدانية خاصة بها، كتبها جين شارب والجيش الأمريكي على التوالي. إن هذه الكتب الرسمية تزود الممارسين لكل طريقةٍ بالتوجيه الاستراتيجي والتكتيكي اللازم لتحقيق أهدافهم الكبرى بنجاح. يركز جين شارب على العقلية الشاملة لحركة الثورة الملونة ومؤيديها، فضلاً عن تقديم المشورة حول كيفية تحفيز الأفراد المترددين ليقوموا بالتمرد ضد حكوماتهم. والفكرة الأكبر هي تجميع شبكة من النشطاء والمؤيدين السلبيين التي ستمكّن الحركة من النجاح بمجرد أن تبدأ رسمياً الانخراط في محاولة الانقلاب. وبمجرد تجميع هؤلاء الأفراد، يوصي شارب بـ ١٩٨ أسلوباً من أساليب المقاومة السلمية التي يمكنهم القيام بها. وقد صُمّمت هذه الأساليب لتضع في اعتبارها أهدافا مختلفة، من ذلك: التشويش على السلطات، والإضرار بشرعيتها، وفرض ثقلٍ اقتصادي ضدها، وتحقيق تغطية إعلامية دولية مناسبة...الخ.

إن دليل TC 18-01 للحرب الغير تقليدية، يتحدث أيضا عن ضرورة إنشاء شبكاتٍ اجتماعية داعمة، ولكن من الواضح بأنه يركز أكثر على الاستعداد للعمليات العسكرية والعنف ضد الدولة. وبصرف النظر عن هذا الأمر، يبقى العمود الفقري الاجتماعي للحرب الغير تقليدية مهمّاً للغاية لنجاحها، وتعتبر الحرب الهجينة أنه في حال أدرك الشعب كتابات شارب منذ البدايات ودعموها خلال استعدادهم للثورة الملونة، فإن ذلك سيزيد من احتمالية توليد الدعم الشعبي الضروري للحرب الغير تقليدية وعملياتها القادمة بشكلٍ كبير. ومن خلال هذا المنطق، يمكن النظر إلى أعمال جين شارب على أنها تشكل الأرضية النفسية لإدخال للحرب الغير تقليدية بعد فشل الثورات الملونة. وبعد كل هذا، تؤكّد TC 18-01 على أنه يجب أولاً إجراء دراسة جدوى قبل بداية الحرب الغير تقليدية، ومن ثم تحريض الشعب بشكلٍ مُكثَّف لكي ينحاز ضد الحكومة ويستعدّ للتضحية ومواجهة الصعوبات المرتبطة بالانتفاضة المسلحة ضد الدولة، ومن ثم يمكن المضي قدماً في التخطيط العملياتي.

ولذلك، يمكن اعتبار منشورات جين شارب "الجزء الأول" من الدليل الميداني للحرب الهجينة، مع اعتبار TC 18-01 وغيرها من كتابات الحرب الغير تقليدية ذات الصلة تمثل "الجزء الثاني". ومن المؤمل أن يكون هذا الكتاب (بين يديك) بمثابة "الجزء الثالث"، من حيث أنه يسد الفجوة بين الركيزتين ويوحد استراتيجياتهما في نظرية حربٍ متكاملةٍ وقابلة للتطبيق.

رابعا: الاستراتيجيات المشتركة (الموحدة)

إن الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية تشتركان في نفس الاستراتيجيات وهما وجهان للعملة الواحدة المتمثلة بعملية تغيير النظام. وتسعى كلتا الطريقتين للإطاحة بالحكومات غير المرغوبة للولايات المتحدة أو غير المنقادة لها ولأهداف سياستها الخارجية، بحيث أن الثورة الملونة تمثّل الانقلاب الناعم، فيما تمثّل الحرب الغير تقليدية الانقلاب العنيف. كما ناقشنا سابقاً، هناك هدفٌ آخر هو خلق فوضى بنّاءة ترافق تقدم الولايات المتحدة في منطقة أوراسيا. والهدف النهائي هو تطويق الدول العظمى الأوراسية وتحييدها مع إيجاد حكومات موالية للولايات المتحدة و"ثقوب سوداء".

تحقق كلٌ من الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية هذا الأمر من خلال استخدام الوكلاء، فالثورات الملونة تستغل الوكلاء السياسيين والاجتماعيين من أجل خلخلة النسيج الاجتماعي للدولة المُستهدَفة، في حين تستخدم الحروب الغير تقليدية وكلاء عسكرين لتقطيع الأواصر بين جميع عناصر المجتمع. والانتقال من الثورة الملونة إلى الحرب الغير تقليدية هو أيضاً انتقالٌ من الحرب الغير ملموسة إلى الحرب الملموسة. وتستخدم كلتا المرحلتين شبكاتٍ افتراضية وماديةٍ واسعة الانتشار تُقَاد من بعيد وتعتمد بشكل كبير على أساليب العمليات النفسية وادارة الادراك.

فيما يتعلق بالاستراتيجية العسكرية، فإن ركنا الحرب الهجينة تلتزمان بنفس المفاهيم. فكلاهما من مظاهر حروب الجيل الرابع، من ناحية الصفات اللا خطية والغير

مباشرة والدينامية. وكلّ واحدٍ منهما (الثورة الملونة والحرب الغير تقليدية) يستهدف الحلقات الخمس من أجل تحقيق أهدافه. المقاربة الغير مباشرة حتميةٌ لكلٍ منهما وتساهم في تعطيل حلقة OODA، ويستخدم كل منهما نسخته الخاصة من الأسراب. وأخيراً، كل هذا يعني أنهما مثالان على نظرية الفوضى المسلّحة، مع كون الحروب الغير تقليدية أكثر عنفاً وشدةً وشمولاً من الثورات الملونة.

خامسا: مقارنة

قبل الانتهاء من هذا الفصل الموجز، من المناسب الآن إجراء مقارنة لبعض الخصائص الرئيسية للثورات الملونة والحروب الغير تقليدية. ستوضح هذه المقارنة كيف أن الحرب الغير تقليدية تنبع من التطور السلس للثورة الملونة:

الثورات الملونة	الحروب الغير تقليدية
محدودةُ العنف	غايةٌ في العنف
حضرية	حضرية وريفية
اجتماعية	مادية مع شيءٍ من الاجتماعية
فوضى ضد السلطات	فوضى ضد كل شيء
أقل تكلفة	أكثر تكلفة
شبكات اجتماعية	شبكات مادية (تستند إلى شبكاتٍ اجتماعيةٍ سابقة تم بناؤها في الثورات الملونة)
تقطّع الروابط الاجتماعية للمجتمع	تقطع كل روابط المجتمع

سادسا: فرانك أرشيبالد يعبر نقطة اللاعودة

أكثر دليل قاطع يربط بين الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية في استراتيجية الولايات المتحدة الكبرى هو تعيين فرانك أرشيبالد عام ٢٠١٣ لقيادة الخدمة السرية القومية NCS. وقد ورد ذكره في الفصل الثاني بأن أرشيبالد عمل "كمورد أسلحة" في البوسنة وأدار الثورة الملونة الناجحة الأولى في صربيا. وهذا يعني أن مهنته كانت مليئة بالخبرة العملية الواسعة في الحروب الغير تقليدية والثورات الملونة. إن مجرد وجود مثل هذا الشخص في قيادة العمليات الخاصة للسي آي إيه يستوجب قرع أجراس الإنذار في جميع أنحاء مجتمع الاستخبارات الأجنبية. فمن خلال تعيينه، تشير الولايات المتحدة إلى أنها عبرت نقطة اللاعودة وأنها لن تتراجع عن الحرب الهجينة. ويمتلك أرشيبالد مجموعة المهارات الضرورية لربط الثورات الملونة والحروب الغير تقليدية في مقاربة موحدة ومنهجية. وبالطبع، تم اختبار هذا بالفعل في سوريا بداية من عام ٢٠١١، ومؤخرا في أوكرانيا بدءا من نهاية عام ٢٠١٣، ولكن مع قيادة أرشيبالد الخدمة السرية القومية NCS لمدة ١٥ شهرا، فمن المتوقع أن تكون هذه الاستراتيجية قد تم احكامها وتوحيدها وتعبئتها للنشر في المسارح القادمة في جميع أنحاء العالم.

الاستنتاجات

أولا: تنبّؤات محدودة

من الصعب التنبؤ بالاتجاه الصحيح للحرب الهجينة في المستقبل، وذلك بسبب حقيقة كونها ظاهرةً حديثةً وما زالت قيد الإنشاء. ولكن مع ذلك، لا يزال من الممكن وضع عددٍ محدودٍ من التنبؤات غير الواضحة فيما يتعلق بتطبيقها على الصعيد العالمي.

كما هو الوضع حالياً، فإن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي تخوض حرباً هجينة. لم تتعرف روسيا على هذا التطور الجديد إلا بشكل طفيف في مايو ٢٠١٤ خلال مؤتمر موسكو حول الأمن الدولي. ولا تزال روسيا لا تفهم ما تراه، وهي الآن تكافح لفهم الأمر من كل جوانبه. أما الصينيون والإيرانيون فإنهم لم يردوا رسمياً على نتائج المؤتمر، رغم أنهم سيتأثرون أيضا بنتائج هذه الحرب بشكل مصيري، تماما كما هو الحال مع روسيا. قد يستغرق الأمر ما لا يقل عن نصف عقد لأي بلدٍ آخر لفهم الحرب الهجينة بشكل كافٍ إلى حد امتلاك القدرة على الدفاع عن نفسه ضدها، ناهيك عن ممارستها بمفرده.[٥٧]

[٥٧] قد يكون كلام المؤلف صحيحاً فيما يخص هذا المنظور الروسي المحدود للحرب الهجينة تحديداً، لكن تصريحات مختلف المدارس العسكرية الغربية (حسب منظورها) تؤكد على انتهاج روسيا الحرب الهجينة في عددٍ من البلدان. ومن أبرز هذه التصريحات منشورات مواقع الناتو على الإنترنت وتصريحات قياداتها، والتي تقول أن روسيا تطبق الحرب الهجينة في أوكرانيا، حيث يعرّف المحللون الأوربيون الحرب الهجينة أنها: كل مقاربةٍ عدوانية لا تتضمن الاجتياح الشامل. ومن بعض الوقائع التي ينطبق عليها هذا التعريف عدة أساليب هجومية طبقتها روسيا عام ٢٠١٤ في أوكرانيا، منها هجمات القرصنة الإلكترونية الواسعة النطاق التي نفذتها ضد جميع مواقع المؤسسات الحكومية الأوكرانية على الإنترنت، وعلى كثيرٍ من مواقع وسائل الإعلام الأوروبية، ودعم روسيا لعصابات الدونتسيك شرق أوكرانيا الانفصالية، التي قامت فيما بعد بتأسيس دولة عميلة لروسيا (غير معترفٍ بها دولياً) انفصلت عن أوكرانيا، وكذلك دعمها لعصابات إجرامية تخريبية من قومية السلاف داخل أوكرانيا لتنفيذ هجمات ذات طابع إجرامي وتخريبي لإشغال أوكرانيا بمشاكل أمنية، وغزو القرم وإعادة احتلاله بقوات نظامية، لكن استخدُمت بأسلوبٍ مباغتٍ جدا حتى أنهم لم يرفعوا العلم الروسي حتى على بدلاتهم العسكرية، بل ومن المحللين من يرى أن الضغط الروسي على الاتحاد الأوروبي بقِطع إمدادات الغاز تعدّ من أساليب الحرب الهجينة، فيما يرى مفهوم المدرسة العسكرية الأمريكية للحرب الهجينة (المتأثّرة بتجربة حرب تموز ٢٠٠٦ لإسرائيل مع حزب إيران في لبنان) أن روسيا تطبّق الحرب الهجينة في سوريا بدعمها لمختلف مليشيات إيران والأسد ومزجهم لأساليب العصابات مع أساليب الجيوش النظامية.

إن القوى الأوراسية التي تحاول شن حربٍ هجينة في منطقتها ستتسبب لنفسها بنتائج عكسية، وذلك أن إنشاء ثقوب سوداء من عدم الاستقرار والفوضى بالقرب من حدودها –بغض النظر عن المقصد – من شأنه أن يحقق الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة. بدلاً من ذلك، إن استطاعت قوة أوراسية اكتساب القوة الناعمة والقدرة على التواصل الاجتماعي لاختراق مجتمعات النصف الغربي من الكرة الأرضية أو أوروبا أو إفريقيا (التي قد تستغرق سنواتٍ عدة في كل حالة)، فمن الناحية النظرية فستستطيع شن حرب هجينة دون خوفٍ من أي ضربة عكسيةٍ سلبية لمصالحها[٥٨]. ومع ذلك، لا يزال يتعين معرفة ما إذا كان من الممكن إنشاء هذه الشروط المسبقة غير الملموسة خارج الفضاء الحضاري لكل قوةٍ أوراسية، مما يقلل بشدة من احتمال قيامها بممارسة الحرب الهجينة في غضون العقد أو العقدين القادمين، في حال إن مارستها أصلاً.

ثانيا: توصيات عامة

من المتوقع أن تمارس الولايات المتحدة الاحتكار الكامل للحرب الهجينة على الأقل خلال العقد القادم، إن لم يكن للأبد، بسبب الظروف الدولية الفريدة التي تُشنّ فيها هذه الحرب. لذلك، فإنه يصبح من الأهمية بمكان أن تقوم الدول الأوراسية بصياغة استراتيجيات دفاعية مناسبة لاستباق الحرب الهجينة قبل أن تبدأ، أو على الأقل للتخفيف من تأثيرها ومنع الأسراب الفوضوية من إلحاق أضرار كبيرة تؤدي إلى

من الجدير بالذكر أن روسيا تطبّق استراتيجية ماسكيروفكا (أي القناع باللغة الروسية)، وتتضمن الاستراتيجية الكذب على نطاقٍ واسعٍ جدا على عدة وسائل إعلامية، واستخدام الحسابات الوهمية على مواقع التواصل الاجتماعي لتحقيق ترند عالمي للأخبار الكاذبة، بالإضافة لنشرِ أخبارٍ كاذبة (بشكلٍ غريب) على وسائل إعلامية من المفترض أنها مهنية، كوكالة سبوتينك وقناة روسيا اليوم (وذلك مثل أخبار التحضير لهجمات كيمياوية من قبل فصائل المعارضة السورية بدعم المخابرات البريطانية). ومن أهم ما ينبغي ذكره، أن روسيا أنه لا تسعى في كثير من الأحيان لأن يتم تصديق أخبارها الكاذبة، بقدر ما تسعى لتحقيق هيمنة إعلامية بخبرٍ غريب (وإن كان كاذباً) وإشغال وسائل الإعلام بمثل هذه الأخبار وإشغال المتابعين عن قراءة حقيقة التحركات الروسية، ومما نراه في هذا الصدد أن روسيا - عبر مؤلف هذا الكتاب حتى – تتظاهر بأنها لا تكاد تعرف ما هي الحرب الهجينة، فضلاً على أن تطبّق أساليب مُطوّرةٍ منها.

[٥٨] لعلّ روسيا ستحاول تطبيق هذا الأمر على فنزويلا حالياً.

الإطاحة بالدولة. كما هو الحال في أي استراتيجية دفاعية، فمن المستحيل أن تحمي نفسك تماماً من المبادرات المبتكرة التي يطلقها الجانب المهاجم، ولكن من أجل مصلحة الأمن، من الضروري على الأقل عمل عصف ذهني حول بعض الأساليب التي يمكن استخدامها، حتى لو لم تكن مثاليةً أو حتى لو لم يتم تطويرها بشكلٍ متكامل.

أقوى رادع للحرب الهجينة هو إنشاء حراسة حضارية، بحيث يشعر أعضاء المجتمع إلى حد كبير "بالانتماء لشيءٍ أكبر من ذواتهم"، وينظرون إلى حكومتهم على أنها موافقة لهذا المفهوم الفوق الوطني الأكبر، فسيقل وقتها احتمال مشاركتهم في نشاطٍ تخريبي ضدها. في الواقع، يمكن أن يؤدي الترويج القوي للأفكار الوطنية (من حيث المفهوم القومي أو الحضاري) من قبل الدولة والمنظمات غير الحكومية التابعة لها إلى خلق عقلٍ جمعي مؤيد للحكومة في نهاية المطاف، ويمكن أن ينخرط الشعب في أسراب مضادة ضد أي متمردين مناهضين للحكومة. من المهم أن تكون الأيديولوجيا شاملةً -إن أمكن- بحيث تستطيع أن تجمع الديموغرافيات الاجتماعية والعرقية والدينية والاقتصادية الموجودة داخل الدولة، بنفس الطريقة التي يمكن للأفكار التخريبية من "الديمقراطية الليبرالية" أن توحّد مجموعات من الأعداد الكبيرة في دولةٍ مُستهدَفة (حتى ولو مؤقتاً) نحو هدف مشترك للإطاحة بحكومتها "الغير ديمقراطية".

وكإجراء احترازي إضافي، يُوصى كذلك بإنشاء شبكات إنترنت وطنية (منحصرة داخل الدولة). ولا ينبغي الخلط بين هذا الإجراء وبين الرقابة والحظر، لأن هذا الإجراء يسعى فقط إلى التأكد من أن الدولة تستطيع رصد الإنترنت وتحديد مصدر نشوء بعض المعلومات التي تدخل البلاد. بالطبع، موضوع (الرقابة والحظر) أمرٌ طموح للغاية وصعب التنفيذ، وفي بعض الحالات (مثل الصين)، يمكن أن يأخذ هذا شكل الرقابة الفعلية واللوائح السوداء. بالنسبة للتطبيق الروسي وفيما يتعلق بأهداف القوة الناعمة في العالم، لا يُوصى باتخاذ مثل هذه الإجراءات. بدلاً من ذلك، يجب أن يكون هناك دفعٌ قوي من جانب الدولة لتشجيع "تأميم" وسائل التواصل الاجتماعي

والإنترنت من قبل مواطنيها. سيعزز الترويج "للنت الروسي Rusnet" الهوية الحضارية للبلد، وسيقلل إلى حد ما من التأثير المباشر للحملات الإعلامية الغربية والأمريكية التخريبية. والهدف النهائي هو السعي إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي الاجتماعي والمعلوماتي، حيث يتم تجنب الاعتماد على هاتين الوسيلتين الغربيتين بشكل قاطع وطوعي من قبل غالبية السكان.

ثالثا: أفكار مُستخلصة [ختامية]

كان الهدف من الكتاب هو إثبات وجود الحرب الهجينة، وهي المقاربة المتكيفة الغير مباشرة لتغيير النظام، وهي تجمع بين الثورات الملونة والحرب الغير تقليدية ضمن استراتيجيةٍ موحدة. وفي هذا الشأن تملي الجغرافية السياسية على الولايات المتحدة استراتيجيتها وتحدد لها أهدافها المستقبلية، بينما تنفذ الحرب الهجينة الخطط على المستوى التكتيكي وتطلق العنان للفوضى المسلحة.

تتمسك الولايات المتحدة بالعديد من النظريات العسكرية الأولية من أجل أن تحقق انتشار الديناميّات الفوضوية. ويمكن أن تحقق حملات التوعية المعلوماتية الفعّالة وبناء الشبكات الاجتماعية على مدى فترةٍ زمنيةٍ معينةٍ إلى تطوير عقل جمعي للنشطاء المناهضين للحكومة. ويمكن عندئذ توجيه هؤلاء الأفراد عبر تعاليم جين شارب إلى أسراب اجتياح استراتيجية تعمل على إرباك السلطات والشروع في انقلابٍ ناعم. وفي حال فشلت الثورة الملونة في إسقاط الحكومة، يحدث الانتقال والتحول إلى الحرب الغير تقليدية، حيث تصبح البنية التحتية الاجتماعية للثورة الملونة أساس الحملة العنيفة التي تشنها الحركة المناهضة للحكومة. عند هذه النقطة يبدأ الانقلاب العنيف وتدخل كل عناصر الدولة في الفوضى التي تمت هندستها بشكلٍ استراتيجي.

وكما قيل في هذا الكتاب، فإن الحرب الهجينة هي الأفق الجديد للاستراتيجية الأمريكية التي تريد من خلالها تغيير الأنظمة في الدول الغير تابعة لها. وقد تم اعتمادها لأنها تحمي الولايات المتحدة من المخاطر السياسية والعسكرية المرتبطة

بالتدخل المباشر، كما أنها أكثر فعالية من حيث التكلفة. وهي تستخدم بشكل غير مباشر خليط من المجموعات الوكيلة لإنجاز ما قد لا يستطيع نصف مليون جندي أمريكي القيام به بشكلٍ مباشر. ومن ثم فهي جذّابة للغاية لصناع القرار الأمريكيين، حيث أن بلدهم مترنحٌ وساقطٌ رغماً عنهم نحو حالة تعدد الأقطاب الدولية، والتنفيذ الناجح متعدد المسارح للحرب الهجينة يمكن أن يعكس هذه العملية وينعش زمن أحادية القطب لفترةٍ غير محددة من الزمان. لذلك، من مصلحة دول الأقطاب أن تفهم الحرب الهجينة من أجل صياغة استراتيجيات فعالة لتحييد تطبيقها الناجح في جميع أنحاء القارة الأوراسية الكبرى ومنع عودة حالة القطب الأوحد.

الملحق: الكشف عن آليات الثورة الملونة الأساسية

الغرض:

الثورات الملونة هي واحدةٌ من أحدث النّماذج لزعزعة استقرار الدّولة. فهي تسمح للجهات الفاعلة الخارجية بالإنكار المقبول عند اتهامها بالتّدخل على نحوٍ غير قانوني في الشّؤون الدّاخلية لدولةٍ ذات سيادة. وإنّ حشدها الجماهيري "لسلطة الشّعب" تجعلها فعالةً للغاية في أعين وسائل الإعلام العالمية. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ تكتل أعدادٍ كبيرةٍ من المدنيين الذين يحتجون على الحكومة يزيد الضّغط على الحكومة المذكورة ويحدّ من خياراتها في التّعامل بفعاليةٍ مع استمرار زعزعة الاستقرار. وكلّ الثّورات الملونة تتبع عن كثبٍ نفس القالب، وفهم طبيعة هذا التّكتيك التّطبيقي لزعزعة الاستقرار سيسمح للدّول بصياغة تدابير مضادةٍ مناسبةٍ ضدّها.

أولاً، النموذج

تتكون الثورات الملونة عبر تفاعلٍ معقدٍ للعديد من العوامل، ومع ذلك يمكن تقسيمها إلى عّدة فئاتٍ أساسية من البنية التّحتية:

-الفكر (الأيديولوجية)

-البنية التحتية المالية

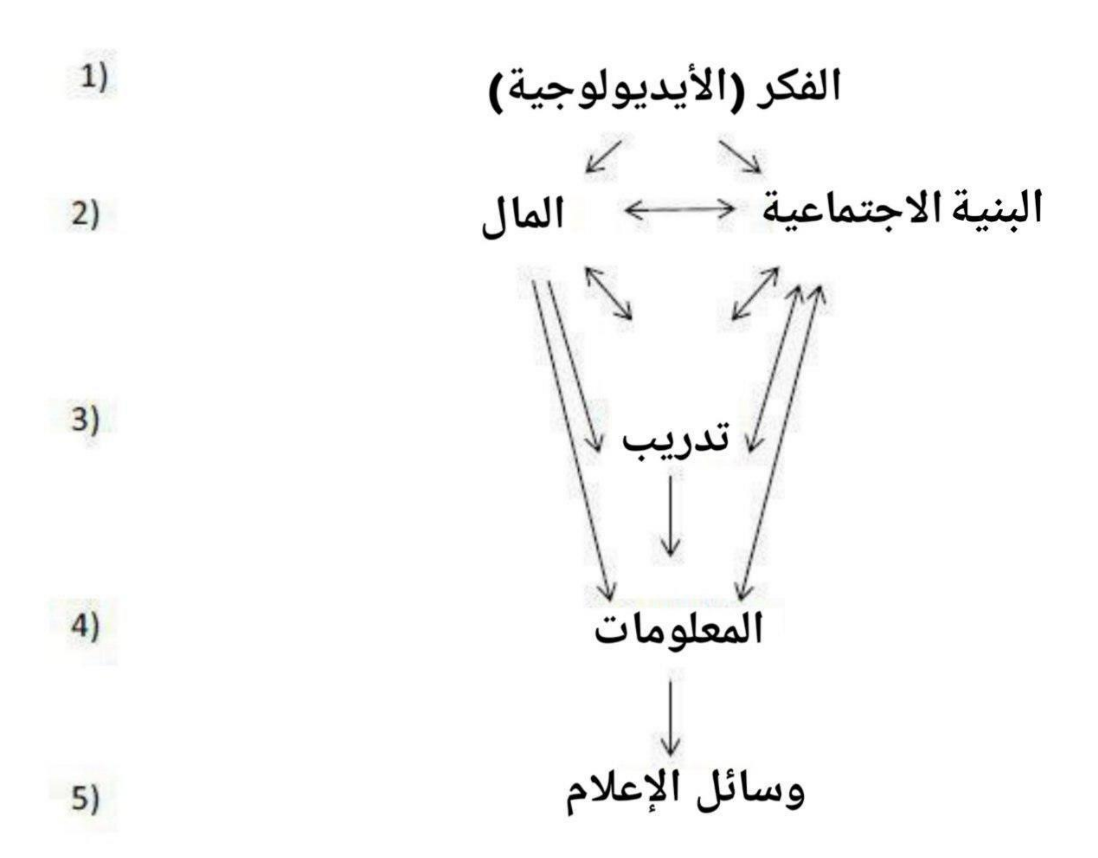
- البنية التحتية الاجتماعية

-التّدريب

-المعلومات

-وسائل الإعلام

تتفاعل هذه العوامل مع بعضها البعض بطريقةٍ محددةٍ في تسلسلٍ هرميٍ مكونٍ من خمسة مستويات:



ينتج التفاعل بين العوامل المذكورة أعلاه حركة (m) تتحد مع متغيرين آخرين لتنتج ثورةٍ ملونة:

- "الحدث (e)"
- البنية التّحتية المادية (p)

معادلة لثورة ملونة (R) على النحو التالي:

$$m + e + p = R$$

ستوضح الفصول التّالية من الشرح بالتّفصيل ماهية هذه المتغيرات، بالإضافة إلى شرح التّفاعل بينهم.

ثانياً، وصف المتغيرات

سيوضح هذا القسم عوامل معينةٍ مساهمةٍ في تحديد كلّ متغيرٍ من المتغيرات.

1. الأيديولوجيا (الفكر)

الأيديولوجية هي المحور الرئيسي لأيّ تغيير في العالم، وهي الفكرة المُوَجِهة التي تحفز كل العوامل الأخرى التي تؤثّر على الثّورة الملونة. فبدون أيديولوجية، كل ما بعده هو فارغٌ وخالٍ من المعنى والغرض. الأيديولوجية التّقليدية التي تحفز كل الثورات الملونة هي الدّيمقراطية الليبرالية، وهي تسعى إلى "تحرير" الدّول المُستهدَفة من الحكومات المناهضة للدّيمقراطية الليبرالية (غير الغربية).

أصبحت الدّيمقراطية الليبرالية في مظهرها الحالي ما بعد الحداثي[٥٩] توسعيةً وعدوانيةً. فهي لا تكتفي بتبديل النّظم الأيديولوجية والقيم السّائدة فحسب، بل تسعى لأنْ تتحكم بها في سعيها إلى الهيمنة العالمية، إلى جانب شنّ حربٍ مباشرةٍ ضدّ المجتمعات التي تقاوم تقدمها (مثل صربيا وليبيا)، فتعلمت الدّول الدّيمقراطية الليبرالية (الغرب) اتباع طرقٍ أخرى لهزيمة الدّول المُستهدفة. هذه الأساليب هي أقل مباشرةً من الحرب المباشرة، ولكنّها ليست أقلّ كفاءة. ويتجسّد الاختراق الأيديولوجي (الغزو الفكري) للمجتمع في نهاية المطاف في انفجارٍ ماديٍ داخل الدّولة نفسها، يتولاه جزءٌ من مواطني الدّولة. ومن ثم تضطرّ الدّولة (والمجتمع ككل) أنْ تحارب جزءاً ثائراً من نفسها ضدّ الوضع الراهن، مما يؤدي إلى تضاربٍ في المصالح وحربٍ أهليةٍ اجتماعية. وتبعاً لمستوى الاستفزاز الذي بدأه المتظاهرون الدّيمقراطيون المؤيدون لليبرالية، وكذلك حالات سوء الإدارة من قبل الدّولة في التّعامل مع هذه الانتفاضة

[٥٩] ما بعد الحداثي هي المرحلة الثالثة من التاريخ حسب تصنيف ألكسندر دوجين، حيث يقسم العالم تاريخياً لثلاث مراحل وهي: الأولى: ما قبل الحداثة "مجتمع زراعي اقطاعي". الثانية: الحداثة "مرحلة الرأسمالية والشيوعية". الثالثة: ما بعد الحداثة "وهي المرحلة التي يتنبأ بها دوجين للعالم حيث تسقط الرأسمالية والشيوعية لصالح نظام عالمي مالي وسياسي متعدد الأقطاب يعتمد على الجغرافيا في تقسيمه بشكل كبير.

الاجتماعية، فإنّ الحرب الأهلية الاجتماعية قد تتحول في نهاية المطاف إلى العنف وتشبه الحرب الأهلية الفعلية لفترةٍ وجيزة. وينطبق هذا الأمر بالأخصّ في حال تمّ تسليح المتظاهرين من قبل قوات خارج البلاد، وخاصة إذا قرر المتظاهرون مهاجمة أجهزة الأمن المكلّفة بتفريق المظاهر المادية للثّورة الملونة.

وهكذا، فإنّ الأيديولوجية هي البادئة في كل الثّورات الملونة. إنها تمثّل شكلاً معاكساً من التّطور للمجتمع المحلي، وهي تحفز شرائح متعاطفةً من السّكان على الانخراط في مظاهراتٍ للمطالبة بالتّغيير. ويتبين فيما بعد أنّ الغالبية العظمى من هؤلاء المتظاهرين النّاشطين يجهلون حتى الآن بأنّ أنشطتهم يتم تنظيمها بواسطة قوةٍ عليا (منظمةٍ غير حكومية أو حكومةٍ أجنبية). بدلاً من ذلك، فإنّ معظمهم – نتيجة لحملةٍ إعلاميةٍ مكثفةٍ تهدف إلى تعزيز الفكر المزعزع للاستقرار – يُلقّنوا بأنّ أفعالهم عفويةٌ و "طبيعيةٌ"، وأنّهم يمثّلون "التّقدم" الحتمي الذي ستَشهده جميع أنحاء العالم عاجلاً أم آجلاً. إنّ فكرة الفرد فوق المجتمع[٦٠] (الجانب الاجتماعي للديمقراطية الليبرالية) تُمكّن كل المتظاهرين من الشعور بأنّهم يصنعون تأثيراً فريداً ومهماً في إحداث هذا التغيير.

2. البنية التحتية المالية

تحتاج أيّ أيديولوجيةٍ إلى بنيةٍ تحتيةٍ مالية من أجل تسهيل تغلغلها في المجتمع، حيث يقوم المال بتهيئة المجتمع ويوفر وسائل إضافيةٍ لنشر التّأثير. وفي حال لم يكن هناك مستوىً قوياً من الدّعم الموجود مسبقاً للأيديولوجية المتغلغلة داخل البلد المُستهدَف، فإنّه من المحتمل أنْ يأتي رأس المال الأوّلي من الخارج (الدّولة/الدّول المُضيفة ستُعزّز الأيديولوجية). كان هذا هو الحال مع الموجة الأولى من الثّورات الملونة والربيع العربي. قدّم

[٦٠] تفضيل الفردية على الجماعية، وهكذا هي النظم الليبرالية، على عكس النّظم الشيوعية التي تقدم المجتمع وترفعه على حساب الفرد.

الدّاعمون الماليون الأجانب رأس المال اللّازم للحفاظ على نمو الحركات النّاشئة في مراحله المبكرة. وحتى إذا كان التّأثير الأيديولوجي الخارجي يبني بنيته التّحتية الاجتماعية الخاصّة به من دون اللّجوء إلى الوسائل المالية، فإنّ هذا المتغير الاجتماعي سيضْعف بشدةٍ في مدى انتشاره وفعاليته إذا لم يكن لديه أساسٌ ماليٌ قويٌ يدعم أنشطته التّرويجية وتدريباته.

التّمويل هو العمود الفقري للثورة الملونة بأكملها. لأنّه يحوّل أفكار الحركة الاجتماعية إلى عملٍ ملموسٍ (بنيةٍ تحتيةٍ ماديةٍ)، ويوفر "عشًا" (محاضن) للرّعاية الأيديولوجية. ومثل هذه الأعشاش (المحاضن) هي منظماتٌ ومؤسساتٌ مختلفةٌ مناصرةٌ للدّيمقراطية وحقوق الإنسان (كما يُعرِّفها الغرب). ومن الشّائع جداً أنْ يُشار إلى هذه المؤسسات والمنظمات على نحوٍ مضللٍ على أنّهم منظماتٌ ومؤسساتٌ غير حكوميةٍ، حتى لو كان لهم صلةٌ مباشرةٌ بحكومةٍ أجنبيةٍ أو بعناصر مؤسّسات المعارضة السّياسية. وتحتاج مثل هذه المؤسّسات والمراكز إلى أموالٍ لكي تعمل، وهذا يجعل وجود البنية التّحتية المالية ذا أهميةٍ حاسمة.

يجب على البنية التّحتية المالية أنْ تَضُخ الأموال باستمرار في مساعيها، لأنّ أيّ توقفٍ (مهما كان قصيراً) سيؤثّر على نحوٍ مباشرٍ على فعالية عملياتها على الأرض والعمليات السيبرانية. ويمكن للمنح المقدمة من المؤسّسات المتمكّنة والحكومات الأجنبية أنْ توفّر رأس المال المَبدئي لإنشاء مؤسسةٍ / منظمةٍ محليةٍ متغلغلة داخل الدّولة المُستهدَفة، ولكن التّدريب المستقبلي سيعلّم الناشطين في المستقبل كيفية جمع الأموال من تلقاء أنفسهم. ويعمل جمع الأموال على توفير مستوىً معينٍ من الاكتفاء الذّاتي المالي الذي يحقق ثلاثة أهداف:

1) الحدّ من التّأثير السّلبي الذي يخلُقه أيّ توقفٍ في التّمويل الخارجي

2) إنشاء شبكةٍ ماليةٍ محليةٍ يمكنها التّهرب من مراقبة الحكومة على التّحويلات المالية الدّولية والتّهريب غير القانوني للأموال بين الدّولتين.

3) زيادة توطيد المؤسّسة / المنظمة في المجتمع المحلي من خلال أنشطة الدّعوة للتّبرع.

يسمح التمويل للثورة الملونة بأن تثبت نفسها بقوة في المجتمع، وكذلك بنشر أفكارها طوال الوقت. فكلما زاد التمويل، زاد عدد المؤسسات / المنظمات والأشخاص الذين يوظفونهم. وتشترك مع البنية التحتية الاجتماعية، بأنهما مدعومتان مباشرة من قبل الأيديولوجية.

3. البنية التحتية الاجتماعية

هذا النوع من البنية التحتية يتعامل مع الأشخاص الفعليين الذين يشاركون في الثورة الملونة، ويتم رسم حدودها من قبل المؤسسات / المنظمات. إنها محرك الاشتباك المباشر للثورة. قبل "الحدث"، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مستويات:

1) النّخبة أو الأساسيون (الطليعة)

2) المجموعات (العاملون)

3) المدنيون (المتعاطفون)

يؤدي "الحدث" إلى أنْ تتحول جميع هذه المستويات الثلاثة إلى وحدة واحدة، مما يعطي للثورة الملونة الانطباع بأنّها مبادرةٌ شعبيةٌ موحدة. يُقال بأنّ البنية التحتية الاجتماعية هي هرميةٌ للغاية، وأنّ عصبةً صغيرةً من الأفراد النخبويين تسيطر على الحركة بأكملها. وهذه الحقيقة لا يجهلها عادةً المراقب

الخارجي فحسب، بل حتى المتعاطفين المدنيين، إلا أنّه من المهم للغاية الإقرار بها ومحاولة فهمها لغرض استيعاب تنظيم البنية التحتية الاجتماعية.

الأساسيون (النّخبة):

هؤلاء الأفراد هم طليعة الثّورة الملونة، وهم الأشخاص الذين يسيطرون على المؤسسات / المنظمات التي وضعت لإحداث التغيير الليبرالي الديمقراطي. هم مدرّبون تدريباً عالياً ويحافظون على الاتصال المباشر مع الدّاعم الخارجي (الأيديولوجي و / أو المالي). ويشكل الأساسيون عدداً قليلاً من النّشطاء الذين هم مكرّسون لهذه القضية. بمعنى أنّهم عازمون على محاربة الوضع الرّاهن القائم ويسعون بنشاط إلى تعطيله، ويمكن تعريفهم على أنّهم "متطرفون أيديولوجيون". إنّهم أقوى الأشخاص داخل البلد المستهدف، وعندما يتم اتخاذ القرار بمباشرة الثّورة الملونة، فإنهم قد يُقَدَّمُون لإلقاء الخطابات المحرّضة للثورة الملونة على الجمهور، أو قد يواصلون دورهم السّري في تنظيم الحركة. إنّ أسر فردٍ أساسيٍ أو التخلّص منه يخلخل بشدّة الفعّالية التّنظيمية للثّورة الملونة.

المجموعات (العاملون):

هؤلاء الأشخاص هم العاملون الذين يُوضعون تحت قيادة الأساسيين. ويقومون بمهام الإدارة أو التّجنيد بموجب توظيف المؤسسة / المنظمة. والمجموعات هي "وجه" المنظمة التي سيتعامل معها معظم المدنيين في البداية. وكذلك يؤدّون معظم الأعمال للمؤسسة / المنظمة، مما يجعلهم العمود الفقري العمالي. وتُكرّس المجموعات للقضية، إلا أنّ عليهم اثبات ولاءهم المطلق للدّخول في النّخبة. وجميع المجموعات تطمح في الدّخول للنّخبة، ومن ثمّ، فنشاطهم المتفاني ومظاهراتهم العامة مناصرةٌ لأيديولوجيتهم. وبالنّظر إلى كون أفراد المجموعات ليسوا بأجزاء أساسيةٍ، فإنّه يمكن التخلّص منهم بسهولةٍ واستبدالهم من قبل المنظمة إذا دعت الضّرورة (أيّ يتم توجيههم إلى أعمالٍ استفزازيةٍ علنية فيتم اعتقالهم لاحقاً). ويشكّل العدد الكبير من

المجموعات قوةً ذات قيمةٍ للمؤسسة / المنظمة، إلا أنّ مجموعةً واحدةً ليست أكثر من بيدق.

المدنيون (المتعاطفون):

المدنيون هم المواطنون العاديون الذين يحتكّون بالمجموعات. ولا يدخلون في البنية التّحتية الاجتماعية إلا عندما يصبحون متعاطفين مع القضية. قد يدخل المدنيون أو لا يدخلون في البنية التّحتية المادية (أيّ يشاركون في مسيراتٍ تضامنيةٍ مع الثوّرة الملونة)، ولكن عندما يفعلون ذلك، فإنهم يقدمون دفعةً كبيرةً للقوة النّاعمة. فقد يؤثر التّصوير الإعلامي لآلاف المدنيين الذين يشاركون في مسيرات الثّورات الملونة على المدنيين الآخرين للمشاركة في مثل هذه الأنشطة. كما هو الحال مع المجموعات، **فإنّ المدني الواحد مجرد بيدق، لكن الجموع الكبيرة منهم "سلاح".**

من حيث التأثير، يكون النمط كالتالي:

الأساسيون> المجموعات> المدنيون

من حيث الأرقام "التعداد"، يتم عكس النمط:

المدنيون> المجموعات> الأساسيون

نظراً لأنّ البنية التحتية الاجتماعية تبني نفسها وتضيف أعضاء جدد، فإنها ستزيد أيضاً من الأموال المتاحة للمؤسسة / المنظمة من خلال أنشطة جمع التّبرعات للمجموعات.

4. التّدريب

التّدريب أمرٌ لا غنىً عنه لأيّ ثورةٍ ملونة، لأنّها تشكّل الجزء الثّالث من الثّالوث غير المقدّس (الذي سيتم شرحه لاحقاً). ويعزّز هذا المستوى من البنية التّحتية قدرات غيره من البنى التّحتية، من الشّؤون المالية والاجتماعية والمعلومات.

ففي المالية: تتعلم المجموعات أساليب جمع التّبرعات.

وفي الاجتماعية: تتعلم المجموعات كيفية إجراء أنشطة التّوعية بنجاح لزيادة أعداد المنتسبين لصفوفهم وجمع المزيد من المتعاطفين المدنيين.

وفي المعلومات: تتعلم المجموعات كيف تنشئ مواقع إنترنت أفضل، وتصنع مواد ترويجية أكثر فعّالية، وتستغل وسائل التّواصل الاجتماعية.

يمكن أنْ يتمّ التّدريب داخل الدولة أو خارجها. وقد يتم تدريب الأساسيين في الخارج، في حين أنّه من المرجح بأنّ يتم تدريب المجموعات داخل الدولة من قبل الأساسيين. **ومن المهم للمؤسسة / المنظمة أن تهيّئ إنكاراً مقبولاً لأيّ تدخلٍ أجنبي وإلا فإنّ عملياتها الدّاخلية (المحلية) سوف تفقد مصداقيتها. وهذا سيجعل من الملائم أكثر تدريب النّخبة الأساسية في الخارج، في حين أنّ العديد من المجموعات تبقى داخل البلاد لتدريبهم.**

يمكن أنْ يكون التّدريب وجهاً لوجه أو عبر الإنترنت. ففي حالة كان من الخطر أو المشكوك فيه أنْ يترك الأعضاء الأساسيون البلاد للتّدريب، فإنه سيتم تدريبهم عبر الإنترنت. ومع ذلك، فإنّ التدريب الأكثر فعالية هو التّدريب المباشر، ولا تُعَدّ "البرامج التّعليمية" عبر الإنترنت بديلاً عن التّفاعل وجهاً لوجه بين الأساسيين والجهات الدّاعمة له. وقد يحدث أنْ يرسل الدّاعم ممثلاً تدريبياً إلى البلد المُستهدَف لإجراء التّدريبات في مثل هذه الظروف، على الرغم منْ أنّ مثل هذه الخطوة تنطوي على مخاطر بالنّسبة للجهة الداعمة. ففي حال تمّ ضبْطه بالجرم المشهود، سيفقد كل من الدّاعم والمؤسسة / المنظمة المصداقية بين الجمهور المحلي، مما سيفقده الكثير من مكاسبه السابقة.

إنّ مؤسسة / منظمة بدون تدريبٍ فعالٍ تبقى غير كاملةٍ ومعاقةً وغير قادرةٍ على الوصول إلى كامل إمكاناتها.

5. المعلومات

هذا المستوى من البنية التّحتية يتعامل مع نشر الفكر، وهو مهمٌ للغاية للمساعدة في توظيف البنية التّحتية الاجتماعية (المجموعات والمدنيين). وتتضمن عنصرين أساسيين:

- وسائل التّواصل الاجتماعية
- المواد الدّعائية

هذه العناصر موضحة أدناه.

وسائل التّواصل الاجتماعية:

يتم استغلال وسائل التواصل الاجتماعية **لنشر الأيديولوجية وإنشاء الشّبكات الاجتماعية**، والتي بدورها ستتحول إما إلى مجموعاتٍ أو مدنيين متعاطفين. فالتّواصل الفعال للوسائط الاجتماعية من قبل المؤسسة / المنظمة ستوسّع الثّورة الملونة بلا حدود. وسوف يستخدم المدنيون وسائل التّواصل الاجتماعية للبقاء على اتصالٍ مع الأخبار وتطوّرات الحركة، وستُشكّل تحدياً للوسائل الإعلامية الرّسمية الدّاعمة للمؤسّسات الحكومية. وبهذه الطّريقة، يكون لمهارات وسائل التّواصل الاجتماعية النّاجحة الهدف النهائي المتمثل في إنشاء وسيلةٍ إعلاميةٍ بديلة.

المواد الدّعائية:

المواد الدّعائية جزءٌ لا يتجزّأ من عملية تعزيز قضية الحركة وجعلها تبدو أكبر مما هي عليه. فالكتابات الجدارية، والمنشورات المبعثرة في الشّوارع الجانبية والمعلّقة على المباني، والشّعارات الجذّابة والألوان يمكن أنْ تنشر الحركة في عقول العامة على أساسٍ جديدٍ مستمر. وتذّكر حتى المدنيين غير المتعاطفين مع الحركة بأنّ أسس الثّورة الملونة المستقبلية موجودةٌ وحاضرةٌ في مجتمعهم. **وفي الواقع، قد يعتقد هؤلاء المدنيون أنّ هذه الحركة حتميةٌ ولديها دعم أكبر مما هي عليه في الواقع، مما يجعلها تتبع عقلية "القطيع"**

المتمثلة في التّمسك بمن يشعرون بأنّه هو "الجانب الفائز". أيضا، تعمل الدّعاية على تبسيط رسالة الحركة، وجعلها شاملة لكلّ الطبقات الاجتماعية (يُفضّل ذلك)، وتخلق صوراً ومفاهيم يسهل فهمها من قبل الجماهير الأجنبية والمحلية.

البنية التحتية للمعلومات مسؤولة أيضًا عمّا يلي:

- إنشاء برمجياتٍ واستراتيجياتٍ لوضع خريطة / خطة الاحتجاجات القادمة
- ربط المؤسسة / المنظمة مع المؤسسات / المنظمات الأخرى المتطابقة فكرياً معها داخل البلد أو في الخارج
- اختيار أكثر الشّعارات والأغاني والمعالم والميادين والحدائق أهميةً ورمزيةً من النّاحية الوطنية لربطها بالحركة.

ومن ثمّ، فإنّ هذا النّوع من البنية التّحتية يربط الحركة بالعالم الخارجي ويعزّز فعالية رسالتها.

6. وسائل الإعلام

يمثّل هذا المستوى من البنية التّحتية نقطة الذّروة لكامل البنية التّحتية للحركة. ويمكن أنْ تكون الوسائل الإعلامية جديدةً (مثل المدونات أو المواقع الإخبارية البديلة) أو تقليديةً (التّلفازية أو الصّحفية). وتتضافر البنى التّحتية المالية والاجتماعية والتّدريب والمعلومات لإنشاء الطبقة الخامسة والسادسة، ويؤدي هذا المستوى إلى النّشر الواسع عبر المجتمع. ومن ثم تُضفي الشّرعية على أيديولوجية الحركة، وتجعلها تبدو ذات سمعةٍ طيبةٍ، وترسخ الإحساس بحضورها القوي في المجتمع. والأهم من ذلك، أنّ لديها أيضاً هدفًا أساسياً هو الوصول إلى الجمهور الدولي. وإنّ القيام بذلك يخلق شرعيةً دوليةً (غربيةً) ويدفع بقوة الشّخصيات السّياسية البارزة سواء داخل البلاد أو خارجها لإصدار بيانات. عندئذ سيحصل السّياسيون المحليون الذين يدعمون الحركة

على دعمٍ صريحٍ من الدّاعمين الأجانب، مما يساعد على دفع مشوارهم السّياسي في حال نجحت الثّورة الملونة.

تعمل كلٌ من المنابر (المنصّات) الإعلامية (الجديدة والتّقليدية) على توظيف المزيد من المدنيين الذين ربما كانوا مترددين في الانضمام إلى الحركة، لأنّهم كانوا ينظرون إليها سابقاً على أنّها هامشيةٌ أو أنّها لن تنجح. يمكن لوسائل الإعلام الجديدة حتى الضّغط على وسائل الإعلام التّقليدية للإبلاغ عن التّطورات المتعلقة بالحركة، وخاصة إذا كانت وسائل الإعلام التّقليدية مترددةً في القيام بذلك لأسبابٍ سياسية. وحتى قد يحدث خلافٌ بين وسائل الإعلام الجديدة والتّقليدية، حيث تصطف الوسائل الإعلامية الجديدة بجانب الحركة، والوسائل الإعلامية التّقليدية بجانب الدولة. والمدونون و "الصحفيون الجدد" هم في طليعة الوسائل الجديدة، وتفيد تقاريرهم في توسيع تأثير الوسائل الإعلامية الجديدة المناصرة للحركة.

إذا كانت وسائل الإعلام التقليدية تقدم تقارير عن الحركة (إما كنتيجة لضغط وسائل الإعلام الجديدة أو من خلال وسائل إعلامية صديقة للحركة)، فإن هذا من شأنه أن يجعل المدنيين غير العارفين مدركين للحرب الأهلية الاجتماعية المقبلة وسيثير رد فعل حكومي ببيان مضاد أو إعلامي. وبالطبع، لن تكون الحكومة مؤيدة لأي حركة تهدف إلى الإطاحة بها، لذا فهي مضطرة للإعلان جهارا عن معارضتها لها. وهذا يمكّن الحركة من تأطير الأحداث بطريقة تجعل الحكومة تبدو وكأنها "تقمع" المعارضة السياسية. تحمل مثل هذه الاتهامات ثقلاً كبيراً عند الرأي العام الغربي ويمكنها أن تقوض دعم الحكومة بين المدنيين المحايدين.

ثالثاً، الثالوث غير المقدس

هذا هو المصطلح المستخدم لوصف التّفاعل بين البنية التّحتية المالية والاجتماعية والتّدريبية. فكلّ واحدةٍ تكمّل الأخرى، وبمجموعهم يُشكّلون مركز قوة الحركة ونفوذها. ويعتبر الثالوث غير المقدس هو التّفاعل الأكثر أهميةً داخل الحركة. وكلما قويت كلّ وحدةٍ من الوحدات الثّلاث، أصبحت الحركة أقوى. وعلى العكس من ذلك، إذا تمّ إضعاف جزءٌ واحدٌ من الثّالوث، تصبح بقية الحركة ضعيفة أيضاً. وسيكون لهذا الضّعف عواقب على البنية التّحتية للمعلومات والإعلام (مُفرّخةً الثّالوث غير المقدس)، مما يقوض عملية الثّورة الملوّنة بأكملها. ومن دون وسائل الإعلام والمعلومات الفعالة، سوف تتلاشى الحركة وتنهار في نهاية المطاف.

البنية التّحتية الاجتماعية هي الأهم في الثّالوث غير المقدس، لأنها تؤثّر على نحوٍ مباشرٍ على الطبقات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة. لذلك، فأيّ تطوراتٍ سلبيةٍ في مجال التّمويل والتّدريب (التي تعتمد عليها البنية الاجتماعية) من شأنها أنْ تنتشر عبر الحركة بأكملها، وبالرغم من أنّ المعلومات تؤثر أيضاً على البنية الاجتماعية، إلا أنّها تزيد من التّجنيد فقط. إنّ التّجنيد بدون مراعاة النّوع غير فعال، والمؤسسات / المنظمات من دون تمويلٍ لن تعمل.

رابعاً، شرح تفاعلات العامل m

الطبقة ١

الأيديولوجية» » » المالية: مبرّر للمشروع بأكمله

الأيديولوجية» » » الاجتماعية: الدّافع للأفراد للانضمام إلى الحركة

الطبقة ٢

التمويل» » » الاجتماعية: يوفر التّمويل لمزيد من المؤسسات / المنظمات

الاجتماعية》 》 》 》 المالية: قد يؤدي المزيد من المجموعات إلى المزيد من النشطاء الذين يقومون بجمع الأموال

التمويل》 》 》 التدريب: يدفع لمزيدٍ من التّدريب

الاجتماعية》 》 》 التدريب: يتم تدريب المزيد من الأفراد، ويجعل التّدريب عملاً منتظماً

الطبقة ٣

التّدريب》 》 》 المالية: يعلّم المجموعات كيفية جمع التّبرعات

التّدريب》 》 》 الاجتماعية: يزيد من فعالية أنشطة التّوعية، ويحسن نوعية الأفراد

الطبقة ٤

التّمويل》 》 》 المعلومات: يدفع لحملات معلوماتٍ وموارد أفضل

الاجتماعية》 》 》 المعلومات: يوفر المزيد من المجموعات لإجراء التّدريب على حملات المعلومات

الاجتماعية》 》 》 المعلومات: يحسن كفاءة حملات المعلومات

المعلومات》 》 》 الاجتماعية: يساعد في تجنيد المجموعات والمتعاطفين من المدنيين

الطبقة ٥

التّمويل》 》 》 وسائل الاعلام: تدفع للتغطية الإعلامية

الاجتماعية》 》 》 وسائل الإعلام: توفر المؤسسات / المنظمات مواضيع ملموسةٍ وشرعيةٍ للتّقارير

المعلومات》 》 》 وسائل الإعلام: تستخدم وسائل الإعلام المعلومات التي وضعتها المؤسسات / المنظمات

خامساً، الحدث

لا يمكن البدء بالثّورة الملونة رسمياً إلا بعد الحدث. ويجب أنْ يكون هذا الحدث مثيراً للجدل والاستقطاب (أو مُؤَطراً ليكون كذلك)، ويطلق جميع طاقات الحركة التي تم بناؤها. وتبرز الحركة نفسها جهاراً نهاراً، وتعمل جميع أجزائها بأقصى قدرٍ ممكنٍ من القدرات. فالحدث هو "الخروج" للحركة، وهو المُشعل للثّورة الملونة.

يتم استغلال الأحداث على نحوٍ انتقائيٍ، فقد تتجاهل الحركة حدثاً معيناً إذا لم تشعر بأنّ البنية التّحتية اللازمة لإنجاح الثّورة الملونة كافيةٌ بعد. لذلك، سوف تنتظر حتى ينشأ حدثٌ آخر، أو قد تعمل على صنع حدثٍ أو التّحريض له. فالحركة لا تستفيد من الحدث إلا بعد إنجاز حملةٍ إعلاميةٍ ناجحة. وقد يتم – أو لا يتم – بناء البنية التّحتية لوسائل الإعلام بالكامل بحلول الوقت الذي يتم فيه اتخاذ القرار باستغلال الحدث، حيث يرتبط هذا المستوى ارتباطاً وثيقاً بالحدث نفسه. وقد لا يتم استخدام البنية التحتية لوسائل الإعلام إلا بعد الحدث نفسه، من أجل إعداد المسرح وإعداد نفسية الرّأي العام للثّورة الملونة. وكل هذا يتوقف على الأوضاع وعلى قرار الحركة وداعميها.

من أمثلة الأحداث ما يلي:

- انتخاباتٌ مزورة
- سجن أحد زعماء المعارضة
- توقيع (أو الفشل في توقيع) على جزءٍ من تشريعٍ مثير للجدل
- قمع الحكومة للمعارضة أو فرض الحكم العسكري
- الإعلان أو المشاركة في حربٍ لا تحظى بشعبية

ما ورد أعلاه ليس سوى عددٌ قليلٌ من الأمثلة التي يمكن أنْ تُشكل الحدث. وليس من المهم أنْ تحدث هذه الأحداث بالضّبط في الواقع أم لا. ما هو محوريٌ هو كيف يُنظر إليها، وكيف تُؤطَّر، وكيف تُروى للجمهور ككل. الادعاء بحدوث إحدى

الأمور المذكورة أعلاه هو الأمر الأهم لإنشاء محفزٍ لحدثٍ، لا الدّليل. يجب أنْ نتذكر دائماً بأنّ الحركة يمكن أنْ تثير أيّاً من هذه الأحداث (أو تُصوِّر للعامة بأنّها حدثت).

سادساً، البنية التّحتية المادية

يسير الحدث والبنية التّحتية المادية المنشورة جنباً إلى جنب. فهناك جزآن من البنية التحتية المادية:

1) الناس ومشاركتهم المادية النّشطة لدعم الثّورة الملونة

2) الأشياء المادية والأماكن وتموضعها / الاستفادة منها استراتيجياً

يتم توضيح مزيد من هذين الجانبين أدناه.

1. البنية التّحتية المادية

يتم نشر الجزء الأول عندما يتخذ الأعضاء الأساسيون قراراً بنزول المجموعات والمدنيين المتعاطفين إلى الشّوارع لإظهار دعمهم للثّورة الملونة. فيما يلي أمثلة:

- أنشطة احتلال أماكن
- بناء الحشود
- المسيرات والاحتجاجات

تحتاج الأمثلة البارزة المذكورة إلى شرحً مستفيض:

أنشطة احتلال أماكن:

تحتاج الحركة إلى احتلال موقعٍ رمزيٍ من أجل الحصول على مقرٍ رئيسيٍ جميل المظهر. وفي كثير من الحالات، تكون هي السّاحة المركزية للعاصمة، وقد يكون احتلالها منتهكاً لقوانين البلديات. وبكون هذا الأمر غير قانونيٍ، فإنّه يخلق بالفعل

ذريعةً استفزازيةً للحكومة لتفكيك التّجمعات وطرد المتظاهرين. ومثل هذا العمل، إذا تم تسجيله وبثّه (إما عن طريق وسائل الإعلام الجديدة أو التّقليدية)، فيمكن أنْ ينسج دعايةً مناهضةً للحكومة ويمكن أنْ يزيد من جرأة الحركة. إنّ " عملية الاحتلال تحدث لتظهر بأنّها عفويةٌ، وحتى إذا كان هناك احتلالاً أو احتجاجاً عفوياً سابقاً (يمكن أن يدعم أفكار الثّورة الملونة) في الموقع المُستهدف، فإنّ الحركة ستستغله بجعله ملكاً لها وباستخدامها للاحتلال أو الاحتجاج المسبق لتسليط الضوء على عفوية المعارضة المناهضة للحكومة.

عادةً ما تنتشر مدن الخيم والمسارح في الأماكن المحتلة، حين يقرر المحتجّون البقاء والصّمود لفترةٍ طويلة. ومن المهم أنْ تكون المنطقة المختارة مشغولةً على مدار السّاعة طوال أيام الأسبوع، ويوجد فيها كادرٌ صغيرٌ من الأعضاء الأساسيين بحضورٍ دائمٍ على الأرض لتوجيه الأنشطة. وفي حال تحركت الحكومة ضدّ منطقة المحتجين المحتلة، فإنّ اعتقال الأعضاء الأساسيين الموجودين هناك يمكن أن يكون أيضاً دافعاً لزيادة الاحتجاج وزعزعة الاستقرار، خاصةً إذا كان الأعضاء الأساسيون هم المديرون الرسميون لمؤسسة / منظمة "مؤيدة للديمقراطية". وفي حين ينهمك الأعضاء الأساسيون والمجموعات في التّواصل المباشر مع المشاركين، فقد يكون البعض منهم من المارة المهتمين الذين يشعرون بالفضول حيال الأحداث التي تتكشف في الموقع الرّمزي. وهذا يسمح للحركة بتوسيع البنية التّحتية المادية والاجتماعية وكسب المزيد من المتعاطفين المدنيين.

سيقوم المقر الرئيسي في المنطقة المحتلة بتقديم الأطعمة والمشروبات إلى المتعاطفين المدنيين. ويحدث ذلك لغرضٍ مزدوج. أولاً، يحافظ على الوجود طيلة اليوم على مدار الأسبوع في الموقع، وثانياً، يجذب أيضاً المزيد من المتعاطفين المدنيين، عبر إظهار أنهم يعتنون بالمتعاطفين المدنيين، فتزيد الحركة من قوتها الناعمة وجاذبيتها بين السّكان. وكذلك يساعد تقديم الطعام والمشروبات على زيادة الحشود من الأفراد لحضور احتلال الموقع وغيرها من الأحداث الاحتجاجية.

بناء الحشود:

إنّ الثّورة الملونة لا وجود لها من دون حشدٍ كبيرٍ من المؤيدين، لذا فإنّ أساليب بناء مثل هذه الحشود ذات أهميةٍ قصوى لبقاء الحركة. وفيما يلي الأسلوبان الرئيسيان المستخدمان:

1) الإعلان على وسائل الإعلام الجديدة أو التّقليدية

2) وضع ما يجذب جيل الشباب (أنْ تكون "مرحاً")

ستقوم الحركة بالإعلان عن أحداث الاحتلال من أجل زيادة وعي السكان بالأوضاع. وسيدعو الأعضاء الأساسيون معارفهم في البنية التّحتية الإعلامية (في الإعلام الجديد والتّقليدي) لتحقيق الظّهور الإعلامي الأول للثّورة الملونة، ولكن مع بناء الحشود و / أو الإجراءات الاستفزازية، فإنّها ستجذب انتباه وسائل التّواصل المحلية والدّولية الإضافية. إنّ إنشاء نظام معلوماتٍ بديلٍ (البنية التّحتية للمعلومات) يساعد على نحوٍ كبيرٍ في الإعلان.

إنّ جذب جيل الشّباب مهمٌ للغاية بالنّسبة للثّورات الملونة، حيث أنّ وجود العديد من الشّباب يوفر للحركة مظهراً شبابياً ومحفزاً ضدّ نظامٍ مصابٍ بالشّيخوخة والفساد (لن يكون معظم قادة الحكومة من أعمار الجامعة أو ما يقرب من ذلك). وسياق الأجيال هذا قويٌ وفعالٌ للغاية في إبراز "نضارة" أفكار الثّورة الملونة ضدّ وجهات النّظر القديمة (والمُؤطّرة) التي عفا عليها الدّهر للمؤسسة الحاكمة.

ولا ينخرط جيل الشّباب عادةً في صراعٍ اقتصادي للقمة العيش، بحيث يضطرّون إلى الذّهاب للعمل أثناء النهار، فلديهم أسَرهم ومؤيديهم الآخرين الذين يستطيعون توفيرها لهم، مما يمنحهم وقت الفراغ اللّازم للتّفاعل المستمر مع الحركة ومظاهرها المادية. وكما أوضحنا سابقاً، يجب أنْ تحتفظ المنطقة المُحتلّة بحضورٍ دائمٍ، ومن المحتمل أنْ يقف الشّباب مع الحركة طوال اللّيل أكثر من الآباء المتقاعدين أو الآباء في منتصف العمر. وينجذب الجيل الأصغر "للمرح" المنبثق عن احتلال المحتجين للموقع الرّمزي. ويمكن إظهار "المرح" من خلال بعض الطرق التالية:

- الحفلات الموسيقية
- الهتافات
- ظهور المشاهير
- الرّياضة والألعاب الأخرى

الأمثلة المذكورة أعلاه لا يجب أنْ تكون سياسيةً صريحةً. فالشّيء المهم فيها هو جذب المزيد من الشّباب، سواءً جاؤوا لأسبابٍ سياسيةٍ أو اجتماعيةٍ، فإنّ وسائل الإعلام ستصوّرهم كمؤيدين للحركة. والتّرويج للمظهر الجذّاب الشّبابي لعملية الاحتلال عبر هذه الأساليب، فضلاً عن إظهار وجود المتظاهرين الشّباب عبر وسائل الإعلام الجديدة والتّقليدية، سيستقطب المزيد من النّاس من تلك الفئة العمرية. والأهم من ذلك، فجيل الشّباب لا يتعين عليه حتى أنْ يكون من العاصمة أو المنطقة المُستهدفة للاحتلال وأحداث الاحتجاجات الجماهيرية. وبدلاً من ذلك، يمكن (وعادةً ما يكون كذلك) نقله من جميع أنحاء البلاد لحضور الاحتجاجات.

المسيرات والاحتجاجات:

يتم تنسيق هذين المظهرين الماديين بهدف إظهار مدى الدّعم الذي تتمتّع به الثورة الملونة للمراقبين. فهما يساعدان على تحفيز المتعاطفين المدنيين. ويجب أنْ يكون هناك مستوىً معيناً من البنية التّحتية التّنظيمية قبل بدء الثّورة الملونة من أجل الاستفادة بفعالية من المسيرات والاحتجاجات. فيما يلي أمثلة على ما يجب النظر فيه وتنظيمه قبل المسيرات والاحتجاجات:

- مواقع الاجتماعات والمسارات (بما في ذلك رمزيتها [تساعد في تأطير الأحداث])
- الوقت (الأوقات) واليوم (الأيام)
- الحصار المحتمل ضدّ الشرطة
- الأعلام / فرق المسير الموسيقية/ عربات المسير التي تذيع الموسيقى القومية (البنية التحتية المادية ٢)

- الأماكن التي تبلغ فيها المسيرات / الاحتجاجات ذروتها (عادةً ما تكون هي المناطق المحتلة أو المباني الحكومية)

إنّ توجيه الاحتجاجات والمسيرات المتزامنة المؤلفة من حشودٍ كبيرةٍ من النّاس يجعل من الصّعب على الشّرطة التّعامل مع الوضع. وعلى أقل تقدير، ستصل مسيرةٌ أو مسيرتي احتجاجٍ إلى نقطة الذّروة حتى لو حاولت الشّرطة منعهم. والمسيرات والاحتجاجات تجعل الحركة تبدو أكبر مما هي عليه في الواقع، كما أنّها تجتذب المزيد من المتابعين والمتفرجين. ويتركز جلّ اهتمام وسائل الإعلام حول مثل هذه الأحداث، ومن ثمّ سيساعد هذا على إيصال رسالة الحركة إلى جميع أنحاء البلاد وربما العالم. وسيشعر كلٌ من الأعضاء الأساسيين، والمجموعات، والمتعاطفين المدنيين بالنّشاط، وسيشعرون كأنّهم جزءٌ من شيءٍ أكبر من ذواتهم. وعبر تسويقها كنشاطٍ يومي، يمكن أنْ تستقطب مثل هذه الأحداث حتى العائلات. وكلما زاد عدد الأطفال المشاركين، كان ذلك أفضل لصورة الحركة.

وتؤدّي مشاركة شخصياتٍ سياسيةٍ مؤيدةٍ للمعارضة إلى انخفاض خطر تفكيك الشّرطة للمظاهرة. ويرجع ذلك إلى أنّ الشّرطة قد تكون مترددةً في القبض على شخصيةٍ حكوميةٍ عامةٍ خوفاً من اتهامها "بقمع المعارضة"، حتى لو كانت هذه الشّخصيات تستفزّ الشّرطة، فمثل هذه الاتهامات يمكن أنْ تؤدّي إلى ضجةٍ دوليةٍ وتقوض شرعية الحكومة. إضافةً إلى أنّ الإضرابات عن الطّعام التي تحظى بتغطيةٍ إعلاميةٍ واسعةٍ، وخاصةً بين الأفراد البارزين في المجتمع، يمكن أنْ تجعل الجمهور يشعر أنّ الحكومة مسؤولة عن معاناة النّاشطين الذّاتية. ومرةً أخرى، يجب تذكير القارئ بأنّ الأهم هو كيفية تأطير الأحداث من قبل الإعلام الجديد والتقليدي، وليس ما يحدث بالفعل. فإذا كانت البنية التّحتية الإعلامية قويةً بما فيه الكفاية لإقناع الجمهور بأنّ الحكومة في الواقع تتصرف بأسلوبٍ استبداديٍ وقمعيٍ عبر أفعالها، فإنّ هذا هو الانطباع الذي سيتذكره الجمهور.

دور وسائل التّواصل الاجتماعية في البنية التّحتية المادية:

توفر وسائل التّواصل الاجتماعية الأمان والتّرويج للثّورة الملونة، وسيتم مناقشة كل منهما بالتّتابع.

اولا) وسائل التّواصل الاجتماعية والأمان:

يمكن للأفراد الآن الوصول إلى الإنترنت وأجهزة التّسجيل في راحة أيديهم عبر التّطورات الحديثة في تقنية الهواتف الخلوية. وعبر تسجيل أحداث الاحتجاج، ويعمل المشاركون على حماية أمنهم ضدّ الهجمات الحكومية المضادة. فقد يتم ردع الشّرطة والحكومة من التّصرف، لأن اللقطات المرئية لأيّ عناصر حكوميةٍ تمارس العنف (أو تصوّر ذلك) ضدّ المتظاهرين سوف تقوّض بشدةٍ من شرعية السّلطات الحاكمة ومن دعمها داخل البلاد وخارجها. وحتى لو حدث مارست السلطات العنف رداً على الاستفزازات، فإنّ صورة المتظاهر غير المسلح الذي يتعرض لهجوم من قبل ضابط شرطةٍ لها صدىً كبيرٌ بين الجمهور الذي تصل إليه هذه الصورة.

ثانيا) وسائل التّواصل الاجتماعية والترويج:

يسمح التّصوير المستمر بدون توقفٍ لأحداث الاحتجاج (بما في ذلك أنشطة "التّسلية") للأعضاء الأساسيين و / أو وسائل الإعلام الجديدة والتّقليدية بممارسة تقنيات التحرير لتأطير الصّورة في ضوء نظرة إيجابية مؤيدةٍ للمعارضة. ويساعد هاشتاغ والتويتر ومجموعات الفيس بوك في تنظيم الصّور والتّعليقات حول الأحداث على وسائل التّواصل الاجتماعية، مما ييسّر الوصول إليه من قبل المتعاطفين والأفراد المهتمين. فمشاركة شخصٍ واحد لصورةٍ أو تغريدةٍ أو حالةٍ إيجابيةٍ على شبكتهم الاجتماعية يمكن أنْ يؤدّي إلى مشاركتها من قبل الآخرين لأصدقائهم، وهكذا دواليك. وهذا يؤدي إلى رد فعلٍ متسلسلٍ عبر وسائل التّواصل الاجتماعي ينتج عنه "انفجارٌ

شعبيّ" محسوسٌ في الاهتمام والدّعم للمعارضين. والهدف النهائي هو "انتشار العدوى".

المتظاهرون كدروعٍ بشريةٍ للحركة:

المتظاهرون، ولا سيما المتعاطفون من المدنيين، هم بمثابة دروعٍ بشريةٍ للحركة دون أنْ يدركوا ذلك. فوجود مجموعاتٍ كبيرةٍ من المدنيين غير المسلحين يحمي الأساسيين والمجموعات من إجراءات الشّرطة المباشرة. وعلى الرغم من أنّ الحكومة قد تتخذ قرار اعتقال المنظمين والنّاشطين المخيمين في المنطقة المحتلة، إلا أنّها ستضطر إلى المرور عبر بحرٍ من المدنيين من أجل الوصول إلى الجُناة، خاصةً إذا كانوا محتلين لموقعٍ رئيسي. ولذلك، فإنّ خطر وقوع إصاباتٍ غير مقصودةٍ وأضرارٍ جانبيةٍ ضدّ المدنيين (خاصةً إذا كانت الحركة تحرض على العنف ضدّها) يتزايد على نحوٍ خاص. وبهذه الطريقة، يختبئ كلٌ من "الأساسيين" و "المجموعات" بأمانٍ خلف المتعاطفين المدنيين ويستخدمونهم كدروعٍ بشريةٍ والمدنيين يجهلون ذلك، مما يضع الحكومة في وضعٍ متزعزعٍ، فإما التّحرك ضدّ المنظمين أو تركهم.

2. البنية التحتية المادية ٢

إنّ الشّكل الثّاني للبنية التّحتية المادية أكثر تقليديةً، فهو يتضمّن المسارح ومكبرات الصّوت واللافتات، وما إلى ذلك. وهي الأشياء المادية المستخدمة خلال المظاهرات الملموسة للثّورة الملونة والحملات الإعلامية المنشورة، وأجزاء منها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ببنية المعلومات التحتية. كل هذا يجب أن يكون معداً سلفاً، وليست بالعشوائية. فعلى سبيل المثال، يجب الحصول على المسارح التي يتم نشرها في الاحتجاجات والمنطقة (المناطق) المحتلّة قبل بدء الثّورة الملونة، وكذلك الخيام والمواد الغذائية والمشروبات المناسبة للمتعاطفين المدنيين. ويتم إعداد المسارح قبل أحداث الاحتجاجات، ويمكن إقامة الخيام قبلها أو خلالها. ولا يمكن شراء كل ما هو ضروري فعلياً للثورة الملونة الناجحة على الفور. لذلك، يجب إنشاء شبكات من العلاقات والتّرتيبات المسبقة مقدما.

هذا الجانب اللّوجستي الذي غالباً ما يتم تجاهله من الثّوريين الملونين يفضح ادعاءاتهم بـ "العفوية". ويساعد المصورون الذين تم وضع مواقعهم بعناية في تأطير الأحداث بالطريقة الأكثر إيجابية للحركة، كما هو الحال بالنّسبة لوضع الأعلام والملصقات القومية و/أو المعارضة. ويجب أيضاً تخزين المواد المطبوعة للاستخدام أثناء أحداث الاحتجاج قبل اتخاذ القرار ببدء الثّورة الملونة، حيث يجب توفير إمداداتٍ من المواد الدعائية كافيةً للاستخدام الفوري. ويجب إنتاج الأعلام واللّافتات والقمصان، وغيرها من الأدوات البصرية المؤيّدة للثورة على نطاقٍ واسعٍ لاستخدامها في الأحداث الشعبية. فصورة حشدٍ من الأشخاص العاديين بدون أيّ تركيزٍ بصريٍ موحدٍ ليست بنفس قوة صورةٍ تظهر التّضامن مع الحركة عبر مظهرٍ مُعد.

أفكار ختامية

إن الثورة الملونة هي تفاعلٌ معقدٌ للعديد من الأجزاء التي تعمل على نحوٍ متزامن. وعلى الحركة أنْ تبني بناها التّحتية السّتة على نحوٍ صحيحٍ قبل بداية زعزعة الاستقرار العام، وتحتاج إلى حدثٍ لتحفيز النّاس على دعمها وتبرير أعمالها للجمهور المُستهدف. وتساعد البنى التحتية المادية الحركة في جذب الانتباه والاهتمام، وتُظهر الثّورة الملونة على أنّها شعبيةٌ وعفويةٌ. وإنّ الفهم الصّحيح لجميع الأجزاء العاملة من الثّورة الملونة يمَكّن المرء من فهم هذا التّكتيك الجديد للحرب ضدّ الحكومات على نحوٍ أفضل، وكذلك تحديد نقاط الضعف التي يمكن استغلالها في صياغة استراتيجية فعّالة مضادّة للثورة.

المحتويات